المشرق

الصُلَيب

لحضرة الاب انستاس ماري دي سنت ايلي الكرملي البغدادي

(١ تمهيد) . انَّ نُدور هذا البحث وقلَّة المتكلّمين عنهُ وتزر كلامهم فيهِ حملني الى ان انتسم غارب القلم لأزلج قليلاً في ميدان هذا البحث وان لم اكن من فرسانهِ لعلّي بذلك أستنهض همم العارفين باحوال هذا الجيل من الناس فيندفعون الى ان يدوّنوها في بطون الاوراق قبل الاندراس . ويُنيروا عقولنا بها قبل ان تفاجئنا الأدلاس . او لعلّي استلفت بهذه الاسطر انظار الواقفين على هذا الموضوع في ما كتبهُ الافرنج فيدرجون لنا في المشرق احوال جيل معروف بالمشرق رمدهُ وما نصُّوا من الآراء فيهم واتصلوا اليهِ من معارفهم وما ذهبوا اليهِ في شأن اصلهم فتتضاعف الفوائد وتكثر العوائد ويطلع الانسان على حقيقة ما حولهُ من الموجودات لكي لا يُرى بجهالة امورٍ هي لهُ ضرب من الضروريات . فاقول وبالله استعين :

(٢ تعريفهم) . الصُلَيب بضمّ الاول وفتح الثاني واسكان الياء كقُفَيل (والصليب انفسهم يسكنون الصاد فيقولون الصْلَيب) جيل من الناس بين الحضَر واهل المدَر منتشرون في الشامية او برّ الشام ويتردّدون بين الموصل وبغداد والدير ونواحيها وينقسمون الى عشائر من ١٥ الى ٢٥ خيمة تنتقل من مكان الى مكان للاتجار بالحبر والملح وغير ذلك

(٣ اصلهم) . قد ذهب العلماء مذاهب شتّى في اصلهم . فمنهم من قالوا انهم من بقايا الصليبيين الذين تفرّقوا شذر مذر من بعد ان اقاموا في بلاد سورية مدّة فنكّل بهم تنكيلاً فاق ما اصاب سائر فرق النصارى لما رآهُ اعداؤهم في اسمهم ما يستقل عليهم

غضبهم واستشهدوا على ذلك باسمهم فان الفرق بين لفظي صَليبيّ وصُلَيْبيّ طفيف جدًّا يكاد لا يُذكر. ولذلك عندهم دليل آخر فان البدو لا يتعرّضون ابدًا لهؤلاء الاقوام ويعتبرون من يتعدّى عليهم انهُ ارتكب اعظم المنكرات وحقّ لهُ انكى العذابات فينظرون اليهم نظرهم الى شيء مقدّس موسوم بالصليب ولا يوقعون بهم أذى او أدنى مكروه وعليهِ فلا مخالطة بينهم وبين البدو. ولهم ايضًا دليل ثالث يُعزّز هذا القول وهو ان البعض منهم من يقول هذا القول اي انهم من الصليبيين لكن لمّا أخنى عليهم الدهر آل بهم الامر الى ما انتهوا اليهِ اليوم ولسان حالهم يقول:

يعاندني دهري كأني عدوّهُ وفي كلّ يوم بالكريهة يلقاني
وان رُمتُ خيرًا جاء دهري بضدّهِ وإن يَضفُ لي يومًا تكدّر في الثاني

وقالت جماعة يُستدلّ على اصلهم من اسمهم فالصُلَيبُ مشتقّ من الصُلب بمعنى الشديد يقال: صُلبٌ في دينهِ اي شديد فيهِ متمسك بهِ وهم عصابة من النصارى قذفتهم ايدي الدهر الى البراريّ فبقوا محافظين على دينهم يادئ بدء ثم تراخت بهم الاحوال فاصبحوا ما هم عليهِ اليوم. او اسمهم مشتقّ من صَلَبَ اي ضدّ لأنّ وهم من نصارى العرب في عيشهم شظف وخشونة لا تلين لها الطباع

وسمعتُ اناسًا يقولون ان اصلهم يرتقي الى الرومان او اليونان فان اسمهم مشتقّ من صُلَيب او صُلَيْف (Sulèves) وهي آلهة برّية كانت تقام تُلاثَ على رُخام قديم وهُنّ قاعدات وبأيديهنّ اثمار وسنابل. ولما كثر اختلاط عبدة هذه الالهة بالنصارى والاسلام تركوا اعتقادهم وتعلّقوا باعتقادٍ ليس هو باعتقاد النصارى ولا باعتقاد الاسلام فصارت حكايتهم اشبه بحكاية الغراب الذي قيل فيهِ:

إنّ الغراب وكان يمشي مشيةً فيما مضى من سالف الاجيالِ
حسد القطاةَ ورام يمشي مشيها فاصابهُ ضربٌ من العُقّالِ
فأضلّ مشيتهُ وأخطأ مشيها فلذاك سمّوهُ أبا المِرْقالِ

وقال آخرون إنّ اصلهم من صُليب او صُلَيب وهي قرية قريبة من دُنقلة من بلاد سَقْي النيل. فسمّوا باسم مدينتهم

امّا الصُلَيب انفسهم فلا يعرفون شيئًا من اصلهم او يعرفون شيئًا تخيّلوهُ في مُخيّلتهم او يخترعون من عقلهم اشياء. ويقولون بقدميّة اصلهم. ويخطر ببالي اني سألتُ قبل ١٥ سنة

واحدًا من الصليب الذين كانوا قد جاءوا بغداد في تلك السنة وكتبت كلامهُ بوقتهِ وكنتُ قلت لهُ: ما اصلكم؟ قال: اني لا اعرف من اين يأتي اكلي. فكيف اعرف من اين يأتي اصلي. وسألت آخر من المقدّمين فيهم ذلك السؤال فتنحنح ثم تمخّخ فتفكّر ثم تذكّر وقال: اسمع يا ابن الحلال. اننا نحن من خيرة الناس وصفوتهم. ومن عليّة العرب وزُبدتهم. كان جدّنا عربيًا صليبيًا (اي خالص النسب) اسمهُ ضَبعان. غير ان طوائح الزمان. طرّحت بهِ على ما يأتي من البيان. كان الله تعالى سبحانهُ عزّ وجلّ خلق جدّ جدّنا ضبعان. في أترهِ مكان. في بلادٍ قريبة من بلاد العرَب. ينبت فيها انواع العُرَب. ثم لمّا كثر الناس واختلفت الاجناس. صمّم جدّنا ضبعان على الرحيل من بلادٍ ضاق بها المكان. فاراد تعالى عندئذٍ ان يوزّع خيراته على خلقهِ ومبروءاتهِ. فكان لجدّنا القِدح المعلّى. والحال فرح فطلّى. فردّهُ الله على سائر الناس. غير انهُ ما عمّ ان ارتكب عملًا عُدَّ دنسًا من الادناس. وذلك ان القيُوم ربّ الكائنات. لمّا بلغ الى تعيين ارزاق الحيوانات. جعل نصيب الكلب قرصة خبز فرمى بها اليهِ. واذا بضبعان جدنا تلقّفها قبل ان تقع بين يديهِ. والحال اغتاظ الله على طمعهِ. وجشعهِ. واحرمهُ من رتبتهِ الاولى الشريفة. وانزلهُ الى درجة خسيفة. وكلّمهُ بكلام تدكدكت لهُ الجبال. وتضعضعت لها قوّات السماء مع ما فيها من آيات الكمال والجمال. وقال: ولّ عني مدبرًا ايها النذل اللئيم. الخالي من صفات الكريم. اني كنت عظمتك بين سائر الناس. لا بل سوّدتك عليهم على اختلاف الاجناس. وها انك تشاطر الكلب في رزقهِ. وتخاصمهُ في حقهِ. ولّ عني فانك منذ هذا اليوم. تكون ارذل القوم. وتحيط الى الأطناب (اي تمرّ بها لتكدي). وتنبحك الكلاب. وكريمات القبائل يعطينك. ولبنات الاحياء يطردنك. تأخذ بمخلاتك. وتكدي من خالاتك. ولا تزال تفعل ذلك. وانت على هذه احوالك. الى ان تكفّر عن طمعك. وتوفي الله عن جشعك. الى ان يشاء. فينشلك من هذا الشقاء.

وسألت آخر فقال تقريبًا قول السابق الّا انهُ ابدل لفظة الكلب بلفظة الغزال

وسألت رابعًا فقال ما يقرب معنًى من كلام السابقين واليكهُ: انّ ملك الشعوب وسلطانهم الأعظم لما رفع قبّة السماء. على عواميد من الهواء. واوقف الارض على ظهر الماء. شتّت الناس في انحاء شتّى من المعمورة. وعيّن لكل جماعة حصصًا من الارزاق عندهُ تعالى مذكورة. فكان نصيب الفلّاحين الفلاحة. ونصيب الملّاحين الملاحة. وحظّ المدّنين

التجارة . وقسمة البدو ركوب الخيل المُطَهَّمة السيَّارة . وتقلُّد السيف والرمح بسالة غريبة . واقتحام غمرات الموت بشجاعة عجيبة . وكانت حصَّة الافرنج التفنُّن والبراعة . والمهارة في الصناعة . امَّا جدّنا صليب وشرار جدّ الشرارات . وحازم جدّ الحوازم المعروف بالغارات . فهؤلاء ثلاثتهم كانوا تغرَّبوا فلمَّا اتوا الى اوطانهم . ادَّعوا باسمائهم . فغضب عليهم الملك الكريم . واستعذروا فكان عذرهم اقبح من ذنب عظيم . فقال صليب : اني كنت اطارد ظبياً . فقال لهُ الربُّ الجليل : سقياً لك ورعياً . فان كنت قد ولعت بصيد الغزال والكدية . فاذهب مع الصبية . الطُنب يطيّحك . والكلب ينبحك »

هذا ومن امعن النظر في ما تقدَّم يتحقق شيئاً وهو ان ما يزعمهُ العلماء لا ينطبق على ما يقولهُ الصليب وبين القولين بونٌ عظيم . غير أنَّهُ مما يمكن ان يؤكدهُ كل عاقل هو ان الصليب ليسوا من العرب ابداً . ولنا على ذلك ادلَّة قاطعة وبراهين نيّرة ساطعة . منها : ان ملامح وتقاطيع الصُلَيب غير ملامح وتقاطيع البدو . فان الصليب يمتازون غالباً بصغر الرأس وعلوّ الجبهة وسعتها وشهَل العينين او صفرتها وزجَج الحاجبين وبلجهما وشمَم الانف وبياض اللون وبيضية الوجه ورقَّة الشفتين وشقرة الشعر ونعومة الجلد ودقَّة الخصر ورشاقة القدّ ونصاعة بياض الاسنان وصحَّة الابدان الى غير ذلك مما لا ينطبق الَّا البعض القليل على مميّزات البدو او العرب . ومما اشتهر به الصليب خاصَّة نحافة الجسم بنوع فاحش حتى عُرفوا بها وضُرب بهم المثل . فيقال : « انحف من الصلَيبي » او « هو نحيف كالصليبي » او « كأنهُ صُلَيبي »

ومن تلك الادلَّة ايضاً لغتهم فهي ليست بالعربية الفصيحة ولا بعربية البادية بل هي لغة بين الاثنتين ولهم رطانة يتكلَّمون بها بينهم خاصَّةً . غير ان البعض منهم يتكلَّمون بعربية البلاد الموجودون فيها وربَّما تعلَّم البعض منهم ولا سيَّما المتقدّمون بينهم مقاطيع مسجعة كما مرَّ بك

ومن ذلك ايضاً عوائدهم فهي كما رأيت ليست بعوائد اهل البادية او نحوهم

ومنها ايضاً ان العرب والاعراب يعتبرون الصليب قبيلة غير عربية ومستقلة عنهم ويجلُّونها ويعظّمون قدرها ويعتبرون المعتدي عليها اعتبار جانٍ من اعظم الجناة

(٤) ديانتهم) . ليس للصليب ديانة خصوصيَّة . وقد سألناهم بهذا الموضوع فقالوا : أننا نعبد خالق الغزال والذي سخَّرهُ لنا غير اننا بسبب مخالطتنا للاسلام ولاهل البادية وجهلنا

لامور ديانة اجدادنا اخذنا عنهم ما دخل بيننا رغمًا عنّا فهم اذًا لا يعرفون لا الصوم ولا الصلاة ولا شعائر الديانة ولا . . ولا . . ولا . . غير ان الختان معروف عندهم

(٥ طعامهم ولباسهم) . ان طعامهم لحم الغزال وهو كثير في برّية الشام التي يسكنونها وهم من احذق خلق الله في التحيّل على صيده فلا يزالون يطاردونهُ حتى اذا أعيا ووقف كالمتفكر التائب عن رشده اطلقوا عليه النار وهجموا عليه . ويطاردون الغزال تارةً ركضًا وتارةً ركبًا على الحمار الابيض فاذا قربوا منهُ كلّموا حمارهم كما فيفهم الاشارة و يترك كالبعير ثم يطلقون النار من وراء الزاملة متخذينها بمنزلة القُنّرة فيصطادونهُ . — ومن طعامهم ايضًا الشعير والذُرة بانواعهما واللبن وشرابهم الماء القراح وإن لم يحصلوا عليه في مثل فصلَي الصيف والخريف شربوا اللبن او اللبن الحليب بدلًا منهُ . واذا دخلوا مدينة تزوّدوا لهم الطحين وانواع الادامة اليابسة لبقائها زمنًا طويلًا بدون فساد

ولباسهم كلُّه من جلد الغزال ايضًا ويتخذون لهم منهُ القفّاز والمساة (١ . ولباس الرجل لا يمتاز عن لباس المرأة الّا بشيء واحد وهو انَّ المرأة تتعصّب بعصابة حمراء بلون الحنّاء وتدلي طرفيها على القفا كانهما تتوّجا التاج . اما الرجل فيجعل هذه العصابة الحمراء ملفوفة على نفسها ليس لها طرف تائس متذبذب . وللرجل جدائل شعر كما للمرأة . والغالب في الرجل التّطط وهو خفّة شعر العارضين ولهذا قلّما يتميز الرجل عن المرأة من بعيد وبالاخص اذا كان الرجل شابًا لم يَقل بعد وجههُ . ولهم منطقة يتّخذونها من جلد الحمل او نحوهِ فيُدهن او يُدبغ بالقَرَظ او بالآء ويُجدل على ثلث قُوًى جدلًا عريضًا ويعلّق بها هنات من العظام يثقبونها لهذه الغاية وتُلبس النطقة بهذه الهيئة ويسمونها السَبَتَة (بفتح وسكون) . واظنُّ ان اللفظة عربية محضة كانها قطعة من السِبْت (بكسر وسكون) ومعناها كل جلد مدبوغ

(٦ اسلحتهم) . ان الاسلحة المعروفة عندهم هي المِقْيار والبعض يلفظ القاف جيمًا شجريًا او جيمًا حلقيًا فيقولون المِجيار او المِكْيار وهو عبارة عن عصا جُعل في رأسها كتلة مستديرة من القار تصلب اذا يبست فتكون كالحجارة . وتفنكة الشِشخان وهي نوع من البندقية او البارودة متوسطة بين القربينة والبارودة الاعتيادية وهي مستطيلة الانبوب بنوع

(١ المساة شيء كالجورب يتطّى بها اسفل الساق وظاهر القدم لكي لا تجرح الارجل بالشوك او بما اشبه

فاحش وداخلها ستّ طرانق او زوايا ومنها اسمها بالفارسية ومعنى شش ستّة وخان او خانة بيت او منزل او طريقة . وقد كان دخول هذه البندقيّة أيام السردار عمر باشا المشهور . والقُرْطة وهي كالمنيار الّا انها كلها من حديد ووجهها محفور او منقوش باشكال غريبة يُؤتى بها من الحساء والقطيف من بلاد العرب

(٧ عوائدهم واخلاقهم) . من عوائدهم انّهم يكرهون كلّ الكراهية السرقة والغشّ والخداع والمكر والمداجاة والمراءاة والغبن في البيع والتجارة . وليس من شيء معظّم عندهم مثل الدَّين . والكذب غير معروف عندهم . ومن طبعهم الكدية وهم مشهورون بها فانك لا تزال تراهم يتطفّلون على موائد الغير من اي ملّة او نحلة كانوا وبدون ان يُدعَوا الى الطعام وهم لا يستنكفون من نوع من الطعام ولا يحرّمون شيئاً منهُ واذا سمعوا باحضار طعام في محلّ تراكضوا اليهِ متسارعين كأنهم من اهل ذلك المحلّ

ومن اخلاقهم العفّة والطهارة فهم لا يعرفون الزنى ولا الفجور الّا ما ندر والنادر لا يُنتدّ بهِ . والمرأة عندهم على جانب عظيم من الحياء والخفر واذا شخصت المرأة مع زوجها الى المدينة تمسّكت باهداب ثوبه وتعلّقت بهِ وهي على هذه الصورة اينما سار وسرى كأنها الطفلة الصغيرة بجانب ابيها

(٨ سكناهم) . ان الصليب يسكنون في خيم يتّخذونها من جلد الغزال او من الشعر وهم يرتادون منازل الغيث في الربيع والشتاء وجوار المدن والقرى في الصيف والخريف وتبلغ خيامهم ما ينيف على الـ ٧٠٠ خيمة

(٩ صناعهم) . ليس لهم صناعة يتمازون بها سوى تربية الحمير البيض . فخيرهم من هذا القبيل مرغوبة لحسنها وقوّتها وتمكّنها من السير المتواصل بدون ان تتعب وشيكاً . ولهذا ترى كثيرين من التجّار يعتقدون صلاتٍ معهم لهذه الغاية . وربما بلغ قيمة الحمار المبتاع منهم بسعر ٣٠٠ فرنك او اكثر . ومن أعمالهم ايضاً تربية المواشي بانواعها والغنم عندهم في سنيّ الخصب تلد مرّتين في السنة

(١٠ حفلة الزواج عندهم) . اذا اراد الواحد ان يتأهّل خرج بشير من بيت الرجل وهو قابض على ذيل حمار ابيض يُوحِيهِ مارًّا ببيوت الربوع فيكون ذلك علامة للدعوة الى العرس . وهذا يشبه بشير العرب الذي كان يجيء مبشّراً فحيّ بخصب او حال تسرّهم

فاذا جاء حرّك ثوبهُ او سيفه واشار بهِ من البعد ليفرحوا ويستبشروا قال الهذلي:

آرقتُ لهُ مثل لمع البشيرِ يقلّب بالكفّ فرضاً قليلا

فترى حينئذٍ كل ما اتى البشير بيتاً خرجت نساؤهُ يُهَلِّلْنَ (١ فيشمّر اصحاب كل بيت في تهيئة طعام يبعثون بهِ الى بيت العروس (الرجل) فيحتشد المدعوُّون على طبقاتهم ويأكل كل فريق من طعام فريقهِ الآخر. واذا انتهوا من الوليمة انفضت الرجال والنساء كلٌّ على حدةٍ وبدأوا بالرقص والزفن. ورقصهم في منتهى البساطة فلا ترى ابدًا فيهِ حركاتٍ تخلّ بالآداب او أمارات تبعث النفس الى سوء الظن او الشكّ فهو عبارة عن وَثْب وطَفْر. وعندهم نوع من الرقص يسمّى بالدَّسْتَبَنْد يأخذ بهِ بعضهم يد بعض ويدورون. ومن عوائدهم في مثل تلك الايام عادة اسمها عندهم بالهَجَّة وهي عبارة عن ان المعرس يعطي حمارًا محضارًا محتاطًا بخَاهِنَةٍ (٢ ويمرّ بصدر البيوت فتُقبِّل النسوة لهميه عن الحمار فيتعهنَّ الخاهنة. ولا يزالون يفعلون هذا الفعل حتى اذا جاء بيتهُ اولم وليمةً يسمّونها وليمة الشباب. امّا اذا وُفقت النساء الى قلب المعرس عن ظهر حمارهِ رغمًا عن مقاومة الخاهنة لهنَّ فللنساء حقّ بالوليمة لهنَّ فقط ويعود الشبّان بخُفَّي حُنَين

امّا طريقة الزواج فتكون على هذه الصورة: يتقدم الخاطب ويمسك يد أبي المخطوبة واخيها او وصيّها او القيّم بامرها وياتي ثالث ويخاطب وكيل الابنة او اباها قائلًا: أتزوّج فلانة ابنة فلان فلانًا ابن فلان ؟ فيقول ابو الابنة: نعم اني ازوج فلانًا ابن فلان ابنتي هذه. فيصرفهم الثالث بعد ان اقام لدى العرسين مقام الشاهد العدل ثم يقول: سيرا بحفظ الرحمن والله شاهد عليكما وعلى اعمالكما وهو الحيّ القيوم

(١١ الطلاق) - لكل من الرجل والمرأة حقّ في ان يطلّق صاحبهُ اذا خان الواحد الآخر اي اذا ثبت عليهِ بانهُ احبّ شخصًا آخر. واذا ارادت المرأة الطلاق خرجت قائلة صارخة: اشهدوا عليّ باني طلّقت فلانًا زوجي لانهُ عشق او خطب غيري (إذ لا يمكن لاحد الزوجين ان يتزوّج الّا برضى الآخر). فاذا انتشر الخبر وتحقّق صدقهُ كلُّ الناس لا تعود المرأة ترجع الى بعلها ولو استرضاها بمال قارون او دولة هارون او سخّرها بسحر هاروت

---

١) يقال هلهل الرجل اذا رجّع صوتهُ والهلاهل هي ما يسمّيها اهل سورية بالزلاغيط

٢) جمع مجاهنٍ وهو صديق الرجل المعرس والبض من العامة تسمي المجاهنة بالغداوية والاشاينة والسرّادجة جمع سردوج

ومارورت . اما اذا كان الخبر كاذبًا جاءت المرأة الى زوجها بالرَجل (بالدست او القـدر) واستحلفتهُ عليهِ ثلاثًا ليثبت صدق الخبر فيقلب الرجل القدر ظهرًا ويحلف عليها ويقول ثلاثًا : وحياة القدر وما قُدّر فيها (١ اني لا عشقت ولا خطبت غيرك لا ظاهرًا ولا باطنًا لا سرًا ولا جهرًا . فاذا حلف هذا القسَم المغلَّظ رجعت اليهِ . واذا طلّق الرجل امرأته ووُجدت حاملًا بعد طلاقها امتنعت عن الزواج ثانيةً الى ان تُرزق فاذا رزقت انثى جاز لها عقد الزواج وان ذكرًا بقيت على ما هي عليهِ ثلث سنوات الى ان يفطم الطفل

(١٢ التطبيب) . لا يعرفون من الطبّ الّا المعالجة بالكي ومخّ عظام البعير . فالمخّ يُستعمل بمنزلة دهان او مَرْوخ . او مَرْهم لأنواع الامراض الخارجية او الأدْوَاء الباطنيَّـة ذات الاثر الخارجي كداء المفاصل والرَثْية والقُرس والحُضار ونحوها . وكل ما لا يُعالج بالمخّ يُداوى بالكي . وطريقة الكي عندهم ان تؤخذ قطعة صغيرة من ثوب ازرق صُبغ بالنيل (ولا يؤخذ من ثوب صبغ بصبغ غير النيل) . ثم تُلفّ هذه القطعة على نفسهـا لفّاتٍ متعدّدة حتى تغدو كالانبوبة دقيقة الرأس ثم يشعل هذا الرأس ويكوى المريض بالحرقة انحاء شتّى من جسمهِ معلومة عندهم بموجب نوعية المرض وموطنهِ

فللداء الفلاني مثلًا يكوى المريض من كتفهِ وذراعهِ وظهرهِ وللداء الآخر من ساقهِ وظاهر قدمهِ ومقدّم صدرهِ الى غير ذلك بموجب قواعد يعرفهـا الكاوي . وربّما كان هذا الكيّ في فسحةٍ معلومة من الجسم فيقوم هذا الكيّ مقام حرّاقة او لزقة او لبيخة او نحو ذلك من مصطلحات الطبّ الحديث . فيحدث اثر هذا الحرق حُوَيصلات مملوءة ماء فاذا نضجت وسال ما بها شفي المريض . وقد تُبدَلُ الحرقة النيلية بحـديدة حارّة فيتصرّف بها الكاوي تصرّفهُ بالحرقة الزرقاء وقد تُبدَلُ الحديدة بالصوفان ايضًا . ومن نظر الى شكل الحديدة او الحرقة او الصوفان علم بان آثار الكي تكون مختلفة الشكل والهيئة والقدر فمنها مستديرة ومنها مستطيلة ومنها مستعرضة الى غير ذلك

(١٣ دفن الموتى) . اذا مات الواحد عندهم اسرع اصحابهُ الى غسلهِ وتكفينهِ وايداعهِ الرَمْس وبعد ليلتين من موتهِ تُدعى الاقارب والجيران والاصدقاء الى ان يشتركوا معهم لتأدية الواجبات في مقاستهم الوخيمة التي تقـام على قبر الميت . ويشاطر هؤلاء المدعوين جميع الفقراء والمحتاجين وبعد ان يأكلوا ويشربوا يأخذون معهم ما بقي من

١) اي ما طبخ بها من الطعام

الطعام وينصرفون والسنتهم لاهجة بذكر محاسن الفقيد وفضائلو مستدرّين صيب رحمة الله عليه. واذا كان اصحاب البيت من الاغنياء او ممّن تمكّنهم حالهم من تضحية ضحيّة عمدوا الى اخذ جمل وجملوا عليه ثوباً وعباءة ونحو ذلك وكلّ ما يتعلّق بلباس الرجل حتى الاحذية واخذوا معهم طحيناً وسمناً وماء وغير ذلك ثم يكلّمون ميّتهم قائلين له: خذ ضحيّتك هذه لك ليوم في هذه الدنيا وليوم في الآخرة. ثم ينحرون الجزور ويأخذون معهم الاكل والامتعة التي كانت وُضعت على الجمل المضحّى وينصرفون حامدين شاكرين.

اصل كلمة زنديق

للاب سبنيان رنزفال اليسوعي.

كثُر ما قرأتُ عن اسم الزنادقة ووصف زندقتهم في تآليف الشرقيين ولا اذكر اني عثرت مرّةً على هذا الاسم دون ان اراجع كتاباً او قاموساً لاستخراج معناهُ الصحيح املاً بان اظفر بما يرتاح اليه لُبّي ويقنع به تماماً عقلي. فطاش سهمي مع ما واصلتُ من السعي وتحمّلتُ من الكلف والجهد

واوّل ما طالعتُ كتاب الفهرست لابن اسحق الورّاق لانّ هذا المؤلف الشهير احسن في وصف اخبار مانى الزنديق ونعت شيعته المرذولة فكتب في ذلك مقالةً مثمرة جليلة الفائدة عليها المعوّل في ترجمة هذا المبتدع. غير اني لم اعثر فيها على المطلوب

ثمّ سرّحتُ النظر في كتب المؤرّخين من العرب كالطبريّ واليعقوبي والمسعودي وغيرهم ممن حصلوا على الشهرة الطائرة في العلوم التاريخية والاسانيد الصحيحة فلم أنل منهم المرغوب. وكذلك لم اجد في تصانيف اللغويين ما به اشفي غليلي. فدونك بعض اقوالهم لترى ما اتى فيها من الاخبار المتباينة والآراء المتضاربة

قال صاحب تاج العروس: « (الزنديق بالكسر من الثنوية (١) كما في الصحاح (او) هو (القائل بالنور والظلمة) كما في العباب (او من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبيّة) وفي التهذيب: ووحدانية الخالق (او من يبطن الكفر ويظهر الايمان). قال شيخنا: والفرق بينهُ وبين المنافق مشكل جدًّا. كما في حواشي الملا عبد الحكيم على تفسير البيضاوي (او

(١) يعلم القراء انّ ما اتى في تاج العروس بين قوسين هو للجوهري صاحب الصحاح والباقي هو شرح لصاحب التاج

هو معرب « زن دين » اي دين المرأة) نقلهُ الصاغاني هكذا . وقال الخفاجي في شفاء الغليل : بل الصواب انهُ معرب « زنده » . وفي اللسان الزنديق القائل ببقاء الدهر فارسي معرَّب وهو بالفارسية زندهُ الذي يقول بدوام بقاء الدهر . قلتُ : والصواب ان الزنديق نسبة الى الزند وهو كتاب ماني المجوسي الذي كان في زمن بهرام بن هرمز بن سابور ويدَّعي متابعة المسيح عليه السلام واراد الصيت فوضع هذا الكتاب وخبأهُ في شجرة ثم استخرجهُ . والزند بلُغتهم التفسير يعني هذا تفسير لكتاب زرادشت الفارسي واعتقد فيه الاهيين النور والظلمة . . . الخ » . اه

وجاء في شفاء الغليل « ليس (الزنديق) من كلام العرب . انما تقول العرب رجل زنديق وزنديقي اي شديد البخل . واذا ارادوا ما تقول العامَّة ملحدًا قالوا « دَهْري » . واذا ارادوا المسنَ قالوا « دُهري » بالضم للفرق بينهما »

وروى المسعودي قال : « وقد ذُكِر انَّ بهرام (ابن هرمز) اتاهُ ماني بن يزيد (وهذا غلط والصواب ابن فتق) تلميذ قاردون فعرض عليه مذهب الثنوية فاجابهُ احتيالًا منهُ عليه الى ان احضر دعاتهُ المتفرِّقين في البلاد الذين يدعون الناس الى مذهب الثنوية فقتلهُ وقتل الرؤساء من اصحابه . وفي ايَّام ماني هذا ظهر اسم الزنادقة الذي اليه اضيفت الزندقة . وذلك ان الفرس حين اتاهم زرادشت بن اسبمان على حسب ما قدمناهُ من نسبه فيما سلف من هذا الكتاب بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الاولى من الفارسية عمل لهُ التفسير وهو الزند . وعمل لهذا التفسير شرحًا سماهُ البازند على حسب ما قدَّمناهُ وكان الزند بيانًا لتأويل المتقدِّم المنزل وكان من أورد في شريعتهم شيئًا يخالف المُنزل الذي هو البستاه وعدل الى التأويل الذي هو الزند قالوا « هذا زندي » اضافةً لهُ الى التأويل وانهُ منحرف عن الظواهر من المنزل الى تأويل هو بخلاف التنزيل . فلمَّا ان جاءت العرب اخذت هذا المعنى من الفرس فقالوا زنديق واعربوهُ . والثنوية هم الزنادقة ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القِدَم والبقاء وانكر حدوث العالم »

وقال ابو عبد الله الخوارزمي الكاتب في مفاتيح العلوم : « الزنادقة هم المانوية وكانت المَزْدَكيَّة يسمون بذلك ومزدك هو الذي ظهر في ايَّام قباذ . وكان مَوْبذان موبذ اي قاضي القضاة للمجوس . وزعم ان الاموال والحرم مشتركة واظهر كتابًا سمَّاهُ زند . وزعم ان فيه تأويل الأبستا وهو كتاب المجوس الذي جاء بهِ زرادشت الذي يزعمون انهُ نبيهم فحسب

اصحاب مزدك الى زند. فقيل زندي واعربت الكلمة فقيل للواحد زنديق وللجماعة زنادقة » . اه (١

وقال آخر . . . وآخر . . . وآخر . . . ومرجع كلهم الى ما اقتطفناهُ من كلام المؤلفين المذكورين . فلا حاجة الى ايراد ما لا يزيد القرّاء علماً فضلاً عن انهُ يزيدهم ملالاً وسآمةً

واذا تأمّلتَ كل ذلك مليًّا يا ايها القارئ الاديب فما عسى ان تستنتج منهُ في شأن الزندقة ؟ كافي بك تجيبني . اوّلاً : لمن المقرّر ان لفظة زنديق غير عربية بل فارسية . وهذا استنتاج صحيح لا مردَّ عليهِ اذ تحقّق ورود تلك الكلمة في كتب الفرس القديمة قبل الاسلام . ثانياً : انهُ من المقرّر ايضاً ان الأبستا كتابٌ من اقدم كتب الفرس والزّند تفسيرٌ للأبستا . وذلك ايضاً صحيح لا نزاع فيهِ (٢ ونزد عليهِ ان هذين الكتابين كانا بمنزلة واحدة من التكريم والتعظيم عند الفرس القدماء

ولكن هل تزعم ان اصل الزنديق من الزّند كما يقول معظم كتبة العرب لاسيما متقدّمهم في ذلك اعني بهِ المسعودي ؟ لا نظنّ . فان الزنديق والزند لا علاقة بينهما اللهمَّ الّا موافقة بعض الاحرف في صوتٍ واحدٍ . وهذا امر اثبتهُ السيّد جمس دَرْمستتر (J. Darmsteter في المجلّة الاسيوية 1884, I. p. 562) فأيّده ببراهين مقنعةٍ . لان الزنادقة قد ورد ذكرهم قبل تأليف الزند اي في الأبستا عينهِ حيث قيل : « اننا جعلنا الصلاة . . . لكي تحارب الزّنده والساحر وتخزيهما جميعاً . » امّا الزنده في الفارسية الاولى فالمراد بها شريعة الساحر او بعبارة اخرى السحر كما يتضح من القرائن . امّا صورة هذه اللفظة من حيث الاحرف فتصير صورة الزند الذي معناهُ التفسير (٣ . فالزنديق اذن في التاريخ القديم ساحر قبيح المذهب سيئ المعتقد والصنع . فكفى بذلك برهاناً

وقد اتخذ هذه الكلمة الفرس المحدثون فتلفّظوا بها على صورة « زنديك » ومنها اشتقت

---

١) هكذا ورد ايضاً في تآليف بعض المؤرخين من الالمان (راجع Tabari Nöldeke p. 40)

٢) ان اول من لاحظ موافقة قول العرب في معنى الزّند مع الدلائل الموجودة في كتب الفرس الاقدمين هو الموسيو شيغل (Spiegel) (راجع Z D M G, VII, p. 103). الّا انهُ لم يعدل عن راي المسعودي في شأن الزنديق

٣) والفرق بين الكلمتين بيّن فانَّ الزند بمعنى التفسير مشتقّ من زنتي (Zanti). اما الزنده فهو بالفارسية (Zanda) ومعناهُ السحر لا غير

(بتصحيف الحرف الاخير) لفظة زنديق الشائعة عند العرب وهم ابتكروا لها ضروبًا من الاشتقاقات وتخيلوا لها انواعًا من الخرافات

وخلاصة القول ان الزنديق لفظة فارسية عريقة في القِدَم معناها الاصلي رجل السِحْر لا رجل التأويل كما زعم العرب ومن ذهب مذهبهم

البيطرة عند الأعراب

نبذة لحبيب افندي شيحا البغدادي عرّبها حضرة الاب انستاس الكرملي

إنّ من نظر الى انتشار العلم وفُشوّه بين المدن والقُرى لا يتمالك من ان يقول انهُ بعد قليل من الزمن لا يبقى للأحوال الحاضرة اثر بعد عين. وحينئذٍ يسأل نفسهُ قائلًا: وما عسى كان يفعل اولئك الناس الذين كانوا يعيشون في البوادي. وما كانت معرفتهم من الطبّ والبيطرة ومعالجة الأدواء ونحو ذلك. فيا حبّذا لو كانوا دوّنوا أعمالهم في كُتُبٍ لنطّلع عليها. فاجابةً لهذا الهاجس قد كتب المسيو حبيب شيحا كتابًا فرنسيّ العبارة في هذا المعنى واودعهُ انواع الفوائد والغرائب فجاء فريدًا في بابهِ وذلك لانّ ما ذكرهُ في كتابهِ هو من الحقّق المثبت اذ عرف اهل البادية معرفةً تامّة لانهُ عاش مع انواع قبائلهم وعشائرهم في اصقاع مختلفة مكّنتهُ من الوقوف على احوالهم وعوائدهم مدّة سنين عديدة. وها اني اعرّب عن كتابهِ ما جاء في باب البيطرة

١ امراض الراس في الخيل

يُصيبُ الخيلَ في رأسهِ مرضان: فمن علامات (الاول) سيلان مادّة من الفم والعينين وفقد شهوة الطعام. والدواء الناجع لهذا الداء ان يؤخذ شيء من زيت الأنيسون فيهِ قليل من الملح يُفرّغ الكلّ في حلق الدابّة. ولهذا الداء دواء آخر وهو ان يُحقن الحيوان بشحم الديك والخمر. ولهُ علاج ثالث وهو ان يُعمل لهُ المشروب الآتي:

٦ غرامات نشادر — ٦ غرامات زعفران — ٢٤ غراماً من ماء الورد

يُمزج الكلّ معًا ويُصبّ منهُ قطرات في الفم. اما مرض الخيل (الثاني) فيمتاز بتيبّس الحلق وعدم القوّة على الشرب. فيعالج كما يأتي:

٥ غرامات نشادر — ٥ غرامات زعفران — ٨ غرامات سكّر

يُمزج الكلّ ويتخذ منهُ عجين ويُقسم اربعة أقسام يُعطى لهُ منهُ كل يوم قسم. ولهُ علاج آخر افعل من الذي تقدّم وصفهُ وهو هذا:

٦ غرامات مرمبا — ٥ ملح عجمي

يُسحق الكلّ سحقًا ناعمًا ويدخل في انف الدابة بنفخهِ اياهُ بواسطة قصبة ويمسك انف الفرس الى ان تسيل الدموع من عينيهِ ثم يُربط رأسه بنوع يجعلهُ متّجهًا الى الاسفل لتتصبّ منهُ المواد بسهولة. ولا يُطعم ذلك اليوم ولا يُشرب. وفي اليوم الثاني يُشرب فقط ثم يؤخذ نُحّان من البيض (اصفرا البيض) ويُجملان في نصف ليتر من السيرج. وبعد ذلك يُدلك بهذا المزيج رأسهُ. ويجعل منهُ قليل في فمهِ ويوضع منهُ ايضًا في مخلاتهِ عند إطعامهِ الشعير حتى يدخل هذا الدواء كلّ جسدهِ. فبتلو ذلك تزول المواد فيتمّ الشفاء.

واذا كان الداء في النخاع نتيجة برد فعلامتهُ ما يأتي: يهزّ الحصان برأسهِ وتظلم عيناهُ فيكون هذا نوعٌ من الفالج يُصيب الحيوانات ويعالج كما يأتي:

٥٠ غرامًا من الشاي — ١٥ غرامًا من الكركم — ٦ غرامات من راس القرنفل (كبش القرنفل) — ١٥ غرامًا من السكّر

تُسحق جميعًا سحقًا ناعمًا وتُمزج في ٥ لترات من الماء الزلال ثم تُغلى سويّةً الى ان يبقى منها ثلثها. ثم يقسم هذا الماء المغلي ثلاثة اقسام ويُحقن كل يوم بجزء واحدٍ منها. واذا كان برد الرأس نتيجة نزلة حدثت اثر عرق مفرط فيؤخذ اذ ذاك:

٥ كيلوغرامات من اللبن الحليب — ٥٠٠ غرام من الثوم — ٥٠٠ غرام من السكّر الاحمر وبقدرهِ من السكّر الابيض

يُمزج الكلّ معًا ويُعطى منهُ الفرس

٢ في جنون الخيل

يقال جُنّ الفرس اذا بدأ يرفس ويرح ولا يدع احدًا يدنو منهُ ويأكل كثيرًا بدون ان يفيدهُ الطعام شيئًا. ويعالج هذا الداء باربعة انواع مختلفة وهي:

١ً يُفصد من جانبي الشفتين ويُحقن بخمر ويُقلّل علفهُ الى ان يزل الفرس

٢ً تؤخذ مرارة البومة او مُخيخها ومرارة العنزة والنزال وتُمزج معًا ويقطر منها في انف الحصان

٣ً يُغلى تمر عتيق في الماء ثم يصفّى ويُحقن بهِ. ثم بعد ذلك يؤخذ جزء من شحم

العنزة وجزء من ماء الورد وجزء من الكافور وجزء من روث الحمير تُمزج سوية ويدخل منها في انفه

٤ يُذاب على النار من شحم الخروف ويُمحق فيه لبّ الجوز ثم يُطعم الفرس هذا المزيج

٣ في حُمّى الخيل

هذا الداء يصيب الخيل على ثلثة انواع: النوع الاوّل يُعرَف بحرارة دائمة تظهر بالعلامات الآتية: يطأطئ الفرس راسهُ واذا مشى لا توافق ايديه ارجلهُ ويزل يوماً فيوماً ويرفع ارجلهُ بصعوبة

ويُشخَّص النوع الثاني بضعف بصر الفرس وبشاوة على عينيه وبانحدار الدموع

ويُعرف النوع الثالث من الحمّى بانفتاح المنخرين انفتاحاً فاحشاً وبتنفُّس حارّ وبفاجأة حرارة شديدة تليها برودة. وتُعالج الحمّى كما يأتي:

٤ كيلوغرامات من الزبيب الاسود — ٣٠ غراماً من الملح — ٣ او ٤ خيارات — قليل من الشاهترج والجين

يُخلط الكلّ في لترين من الماء ويُغلى معاً الى ان يبقى منهُ النصف ثم يُصفّى وتُشرَب منهُ الدابّة (ستأتي البقية)

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي

(تابع لما سبق)

وكان أذينة يؤثر خير الدولة الرومانية على خيره وصالحه الخاصّ غير انهُ اخذهُ الارتياب وداهمتهُ الحيرة فكان لا يعلم أيواصل محاصرة المدائن ام يتركها مبادراً الى مقاومة الخوارج. فبعد التروّي جزم على المباشرة بما رآهُ انسب لحفظ سلامة المملكة. فلم يتم ان غادر المدائن ورجع الى تدمر حيث اتّخذ اسم الملك ثم اسرع المسير الى ملاقاة مكريانس. الّا ان هذا الباغي الشرير كان قد ترك الشام فصار الى مقاتلة غاليانس القيصر (١ بعد ان خلّف في الاقاليم الشمالية كياتوس احد ابنَيه ليقوم فيها مقامهُ وجعل معهُ كاليستوس (او باليستا) نائبهُ المذكور

وبينما كان ملك تدمر زاحفاً الى مدينة حمص اذ ورد خبر كسرة مكريانس وقتله في

١) راجع تريبيليوس Trig. Tyr.

بلاد الجزيرة او ثراقية (١ فتغيَّر السوريُّون عمَّا كانوا عليهِ من طاعة كيتوس بن مكريانس وخلعوهُ واقروا بزمام امرهم الى أذينة. فالتجأ كيتوس مع كاليستوس الى حمص وتحصَّنا فيها مدَّة وجيزة. فما لبثا ان داهمتهما فرسان تدمر وأحاطوا باسوار المدينة. فلمَّا اخذوا بمحاصرتها علم كاليستوس أنْ لا سبيل لهُ الى النجاة فخان كيتوس سيِّدهُ وضربهُ بالسيف وشدخ رأسهُ ورماهُ من فوق الاسوار عند قدمي أذينة ثمَّ فتح لهُ ابواب المدينة والتمس منهُ الامان. فمنحهُ أذينة العفو ودخل البلد بعسكرهِ فاستقبلهُ الاهلون استقبالًا بهيًّا شائقًا (٢٦٢ م) (٢

وبعد ان اراح أذينة جنودهُ بضعة ايام خرج من حمص يريد حرب بقيَّة الخوارج. فبينما هو على ذلك اذ تمرَّد عليهِ كاليستوس فانتدب اشياعهُ واطلقهم على المدينة فثاروا باهلها وضربوهم بالسيف (٣ ثم الجأهم الباغي الى ان يبايعوهُ ففعلوا وبدأ هذا الظالم يجول في البلاد مدَّعيًا الملك لنفسهِ. فلمَّا ورد على أذينة خبر خروجهِ وسوء تصرُّفاته ارسل عليهِ بعض المقانب ففجأوهُ في خيمتهِ واحتزَّ رأسهُ احد الفرسان (٤

امَّا أذينة فتمَّم فتوحاتهِ وشنَّ الغارة على نواحي الجزيرة واعمال فارس (٥ فمنحهُ الله اكتاف بعض مرازبة شابور وارسلهم الى غاليانس يُعلمهُ ان الاقاليم رجعت الى السكينة والسلم

وكان القيصر في تلك الاثناء قد ذلَّل رقاب البرابرة من الالمان والفرنج وقهر خوارج إليرية وغالية. فلما انتهى اليهِ خبر أذينة سُرَّ بهِ سرورًا شديدًا ووافق ورود هذا النبأ خبر تغلُّب ثيرودوت قائدهِ على اميليانس في بلاد مصر وانتصار قائد آخر على القوط. فلما كانت سنةُ تلك السنة العاشرة للملكهِ تقدَّم بان يقام عيد فاخر تذكارًا لنُصرته على جميع اعداء

---

١) راجع تريبيليوس *Trig. Tyr.*2 وزوناراس ١٢ : ٢٣ وقد ورد في تاريخ اوسايوس (٧ : ٢٣) ان النصارى فرحوا لهذا الخبر فرحًا عظيمًا لان مكريانس لم يزل يضطهدهم مدة ولايتهِ في الاقاليم السورية ومنذ ذاك العهد امر غاليانس بكفّ اضطهاد المسيحيين في جميع انحاء المشرق كما فعل قُبَيل ذلك في الاقطار الغربية

٢) راجع زوناراس ١٢ : ٢٤ وتريبيليوس *Trig.* Tyr. 11-13

٣) راجع تريبيليوس *Gall.* 3

٤) راجع تريبيليوس *Trig. Tyr.* 17 وزوناراس ١٢ : ٢٤

٥) وقد تشكَّى مؤرخو اليهود كثيرًا مما نالهم من الاذى عند محاربة أذينة لشابور لاسيما في مدينتهم المساة ناهدره من اعمال الجزيرة. وهي مدينة مشهورة عند اليهود بعدَّة مدارس يتعلَّم فيها الربانيون علوم دياناتهم وفنون تقاليدهم (راجع Grœg: *Hist. des Juifs* IV, 432

الدولة الرومانية. فاحتفل بالعيد في العاصمة بأبهة عظيمة استرسل في وصفها المؤرخ تريبيلليوس پوليو

الّا ان غاليانس رغماً عن اخماد كل الفتن لم يكن ليستوثق من استقرار الملك لهُ وفكّر في وجه تأييد اركان الدولة وتوطيد قواعدها. فتفتّش عن رجل صالح امين نهوض يشاركه في المُلك ولم يجد في جملة قوّادهِ وعُمّالهِ الّا أذينة ملك تدمر وامير قبائل البادية. فاقرّ لهُ بحقّ الرئاسة ودعاهُ امبراطورا (١ على جميع انحاء المشرق اي على الشأم والجزيرة وآسية الصغرى سوى بيثينية وبضعة نواحٍ شمالية (٢٦٤ م) (٢. ثم أمر بضَرب نقودٍ باسم أذينة فضربت ونُقشت عليها صورة هذا الصنديد ووراءهُ بعض الاسرى من الفرس. وكان لهذا الخبر رنّة عظيمة عند جميع الشيوخ الاعلى وفي الممالك الرومانية قاطبةً

وتلقّب أذينة منذ ذاك الحين باسم آخر يُناسب سموّ مقامهِ في عيون الشرقيين فدُعي "ملك الملوك" (٣ على منوال الاكاسرة واشرك ابنهُ هروديس في سياسة مملكتهِ الواسعة ونهض باعباء التدبير نهوضاً حسناً لتثقيف أوّد تلك الاقاليم الشرقية التي قد طالما توالى عليها الفتق وتفاقم فيها الصَدْع (٤

٩

واوّل ما سعى أذينة وراءهُ ازالة اضطهاد النصارى في بعض المدن كانطاكية وحمص ودمشق وقيصرية. فاطلق لكلّ طائفة من الطوائف الحرّيّة الكاملة في امور الدين واوعز الى الوثنيين ان لا يتعرّضوا للمسيحيين في قضاء فروض عبادتهم. ومنحهم علاوة على ذلك الرخصة في بناء الكنائس حيث شاؤوا

---

١) وباللغة اللاتينية : Imperator totius Orientis و باليونانية αὐτοκράτωρ

٢) راجع تريبيليوس Gall. 10-12

٣) راجع Gall. 10 وتريبيليوس W. p. 601. c. 2 وهنا مسئلة هل اتخذ أذينة اسم اوغست (Augustus) كالقياصرة الرومانيين. غير ان الامر ليس بمستحيل لكن لم يثبتهُ العلماء (راجع F. Lenormant *La monnaie dans l'antiquité* و Mommsen : V. p. 433, 2. II. p. 379, 382) هذا على انّ اسم ملك الملوك يوازي تسمية اوغست (Augustus او Σεβαστός) الّا ان أذينة لم يتلقب به رسمياً في حياتهِ وانما دُعي بذلك في النواحي لا سيما بلاد الجزيرة وبلاد العرب وليس بمستبعَد انّ وهيلات بن أذينة يكون هذا حذو ابيهِ الى ان شنّت الحرب عن ساقها بين زينب واورليانس قيصر في اواخر ملك سلطانة تدمر. فبتلك الاثناء اتخذت هي ايضاً تسمية Σεβαστή

٤) راجع تريبيليوس *Trig. Tyr.* 14

ثمَّ أصلح فساداً آخر كان قد استشرى في الشام منذ سنين. فان بعض الجنود من الرومان وغيرهم ممَّن قد تمَّت مدَّة خدمتهم العسكرية او هربوا منها كانوا يجتمعون فيثات فيجولون في البلاد وهم يشنّون الغارة على الاهالي ويستلبون اموالهم ويخربون منازلهم ويتلفون غلاَّتهم. وكان كاليستوس الذي قُتل في حمص قد استمال في حياته خلقاً كثيراً من هؤلاء المَرَدَة. فلما مُثّل بامرهم تخوَّفوا العقاب فهربوا الى آسية الصغرى وتحصّنوا في جبال ايزورية وسكنوها مدَّة الى ان قويت شوكتهم فولّوا عليهم رجلاً يُدعى تريبيليانس (١ وقصدوا مقاتلة القيصر الجديد. فلم يلبث أذينة ان وجّه اليهم احد قوَّاده اسمهُ كوسيوليوس وهو مصري الاصل فالتحم القتال في النواحي الشمالية وقُتل فيه الطاغي. فرجع السِلْم في جميع ممالك أذينة

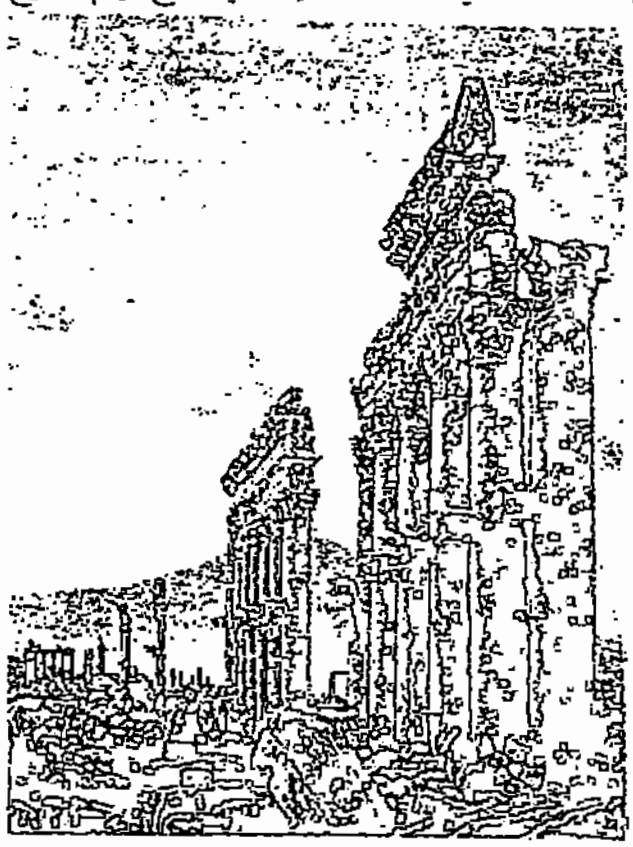

صورة بعض السُمُد من جهتها الداخلية

١) اعلم ان تريبيليوس پوليو المؤرّخ جعل هذا الباغي في جملة الثلاثين ظالماً. (راجع *Trig. Tyr.*) وكانت بلغت به جسارتهُ الى ان ضرب نقوداً باسمه

الّا انهُ قد بقي على قيصر تدمر ان يجبر بعض الوهن ويحسم بعض الداء. وهو ان الانحاء المجاورة للفرات كانت قد اصبحت على اسوإ حال من الفقر المدقع بسبب غزوات الفرس. فهجر الناس مساكنهم واراضيهم وجلوا عن البلاد ينتظرون عود السلام. فبشّرهم أذينة أنْ قد حان ميقات الصلح والسكينة فارجعوا الى اوطانكم ولا تخافوا على حياتكم واموالكم. فعادوا افواجاً من كل اوب مع عدّة مهاجرين من بلاد اليونان وآسية الصغرى (١ وتفرّقوا في اقاليم الجزيرة وانتشروا على ضفّة الفرات واسّاهم الله على مصائبهم ونضّر املاكهم فاضحت المدن التي قطنوا فيها من اعمر المدن واسماها على قدم النجاح. وكانت مدينتا نصيبين وحرّان قائمتين في وجه العدوّ تردّان غارات الفرس والبرابرة

ولم يكتفِ أذينة بجميع هذه الاعمال الحسنة والمشروعات الجليلة. فانهُ لم يكن ليحسب نفسهُ سعيداً والدولة الرومانية مظفّرة ما دام شابور على عرش فارس وقومهُ غير مذلّلين. فتأهّب لمحاربة الفرس مرّة ثالثة وحشد جموعهُ وتوجّه الى المدائن ليُبيد رعايا شابور قتلاً واسراً. فبادر كسرى لمجاذبته ونشبت الحرب بظاهر المدائن وزاحف كلٌّ فريق عدوّهُ وجرت مناوشات ووقائع افضت الى نصرة جيش أذينة. الّا انهُ لا يُعرَف أفتح المدائن ام لا لانّ قدماء المؤرّخين لم يستقصوا اخبار تلك الحرب (٢

١٠

هذا وكأني بأذينة قد قُضي عليهِ ان يموت في غير المعركة. فان هذا البطل الذي احيا

---

١) قد قدّمنا ان بلاد اليونان وآسية الصغرى كانت في قلق عظيم حين ظهور الثلاثين ظالماً. وكان ذلك سبباً لمهاجرة جمّ غفير من تلك الاصقاع لاسيما من بلاد اليونان. فلمّا كانت مدينة تدمر قد طار صيتها في الآفاق لاجل ابنيتها وكنوزها وطمأنينة حالها تقاطر اليها قوم غفير من اليونان من فصحائهم وتجّارهم وصنّاعهم وعلمائهم. ومن جملتهم اللّامة لونجينوس الذي سيأتي الكلام عليهِ وقد وجه الى أذينة خطبةً عنوانها « مدح أذينة » فاستطف جا ملك تدمر قبل ان يقدم على دخول حاضرته. والحقُّ يقال ان ولوج هؤلاء الاجانب في تدمر كان سبباً لارتقائها الى اعلى مراتب التمدّن. الّا ان ذلك نفسه كان ايضاً علةً لانحطاط همّة التدمريين وحبّهم لوطنهم. فتغلّب عليهم روح اليونان وتكاثر بينهم اصحاب الدعارة وتداخل في امور السياسة جماعة من المتملّقين وللّهم هم الذين اطرأوا زينب حتّى طمعت فيما كانت عاقبتهُ هلاك ملكها وبوار سلطنتها

٢) انّ جيورجيوس لِسنّال المؤرّخ القسطنطيني وحدهُ اخبر انّ أذينة تمكّن من فتح المدائن. والله اعلم

عند الرومان الاوّلين قُتل قتلًا شنيعًا عند إيابهِ من محاربة القوط . واليك تفصيل القضية على وجه الاختصار :

بينما كان أُذينة يحارب شابور بالمدائن انتهز القوط هذه الفرصة ليقتحموا على الاقاليم الشمالية . فلمّا علم ملك تدمر انّهم رسوا بمرفأ هرقلية على شاطئ البحر الاسود ثمّ زحفوا على بتينية وفريجية وغلاطية حتى كبادوقية بادر الى ملاقاتهم وانقضّ عليهم كالنسر القشعم . الّا انّ البرابرة افلتوا من مخالبهِ فولّوا مدبرين وعادوا الى هرقليـة حيث كانت سفنهم فركبوها وابحروا الى بلادهم . فتأسّف أُذينـة شديد الاسف لتفلّتهم من يدهِ لانّ هؤلاء البرابرة كانوا قد خربوا عدّة مدن وسلبوا الاسلاب وسبوا الذراري . بيد ان غاليانس كان وقتئذٍ في انحاء القسطنطينية فركب اسطولهُ وتعقّب البرابرة الى ان ادركهم وقطع دابرهم

فلمّا انتهى الى أُذينـة نبأ كسرة القوط فرح لذلك فرحًا شديدًا وتقدّم الى جيشهِ بالرجوع الى المدائن . وكان أُذينة اذا طال السفر يصرف وقتهُ في الصيد والقنص كما الوف عادة ملوك المشرق في ذلك العهد . فلما كان بين هرقلية والمدائن بعدٌ شاسعٌ اخذ يروّح النفس متصيّدًا بصحبة هروديس ابنهِ ومَعْنَيْ ابن اخيهِ خيران . وكان مَعْنَيْ هذا يبغض أُذينة وابنهُ ويُضمرُ لهما الشرّ مدّعيًا انّهما تطاولا على حقوق رئاستهِ . وكان قد استمال بعض اهل الفتن فجمعهم زمرة . واتّفق ذات يوم ان أُذينة كان يسدّد المرمى الى بعض الطريدة واذا بمعني رماها قبلهُ وكرّر ذلك ثلاث مرّات متعمّدًا

ولمّا كان هذا الفعل يُعدّ من اقبح الاهانات التي تقبض بشأن الملك غضب أُذينة غضبًا شديدًا فعزم على معاقبة المجرم واخذ منهُ حصانهُ فكاد معني يتميّز من الغيظ ولم يكن ليكظم حنقهُ واقبل يندمم على عمهِ ويقذفهُ بهُجر الكلام ويتهدّدهُ . فامر أُذينة بان يكبّل بالقيود

ثمّ لمّا وصلوا الى حمص حلوا بها بضعة ايّام لإراحة الجند والخيل . فانتهز أُذينـة هذه الفرصة واعدّ مأدبة فاخرة تذكارًا ليوم ميلادهِ واستدعى اليها قوّادهُ وامراء دولتهِ . وكان هروديس يحبّ معني محبّة صادقة ولم يتّهمهُ قاقبل على ابيهِ يطيّب نفسهُ من معني ويلتمس منهُ العفو . ولبّى أُذينة الى طلبتهِ واستحضر معني الى الوليمـة . فبينما كانت الجماعة في فرح وسرور اذ قام معني وبعض عصبتـه فثاروا بالمأدوبين وضربوا أُذينة وهروديس

صورة فوتوغرافية للمعبد من جهة الغرب (كما كانت في اواسط القرن الثامن عشر)

فقتلوها (١ ثم صاحوا فاجتمع اليهم اشياعهم وبايعوا معني

وقد زعم قومٌ انَّ زينب كانت تبغض هروديس لكونه ليس بولدها فشجَّعت معني على هذه الفتنة الفظيعة رجاء أن يصير الامر الى ابنها وهبلات . الَّا انَّ في هذا نظرًا . فكيف يمكن يا ترى مثل هذا الزعم مع ان زينب لم تجهل ان معني قاصد قتل زوجها وهروديس معًا ليستولي هو نفسهُ على رياسة تدمر ؟ فهذا ما لا يقبلهُ عقل سليم كما لا يرضى بتُهَم أُخرى سيأتي عنها الكلام

وخلف أُذينة معني على عرش الممالك الشرقية . الَّا ان اهالي حمص لم يكونوا ليحتملوا هذا الظالم فخرجوا عليهِ بعد ايَّام قلائل وقتلوهُ (٢٦٦ — ٢٦٧) (١ (ستأتي البقية)

حاشية

قد قدمنا اكثر من مرة ان اسم زينب الاصلي انما هو بت زَبَّاي مستندين في ذلك على الكتابة التدمرية التي ادرجها المركيز دي فوكويه في مجموعهِ المعروف (n° 29) والآن نبَّهنا حضرة الاب غانم اليسوعي المحترم على ان في الكتابة المذكورة تصحيفًا استدركهُ المؤلف الشهير وأصلحهُ في الصفحة ١٥٣ من كتابهِ فوضَّا عن : בת זבינה ידתא وترجمتهُ بنت زينه الثقية (او المشهورة) قرأ בת זבי נהידתא بدل الدال راء . ومعنى ذلك بنت زبَّاي الحميدة (راجع Inscript. Sémitiques 1868 — 1877)

(قلنا) انا نشكر لحضرة الاب غانم على هذه الملاحظة المهمَّة التي لم يتيسَّر لنا ان نقف عليها عند تسطير ما سبق من مقالتنا لان المجموع الذي استندناه لا يتضمَّن الصفحات الثلاثين التي اضافها المركيز دي فوكويه الى تأليفهِ من السنة ١٨٦٨ الى السنة ١٨٧٧ . وقد بيَّن فيها ان المسيو مرتدمان (Mordtmann) الذي رحل الى تدمر بعده ليراجع قراءة الكتابات التدمريَّة هو الذي اكَّد ان القراءة الصحيحة في اسم زينب الاصلي انما هي بت زبَّاي لا غير

فينتج من اصلاح هذا الغلط : ١ ان ما قلنا في زعم المسيو رَيت (راجع ص ٥٩٠) لا فائدة منهُ . ٢ ان العرب حفظوا اسم زينب على صورته الاصلية اي الزباء مع حذف الكلمة الاولى بت او بنت . ٣ ان ابا زينب لم يكن زينوبيوس كما مرَّ (راجع ص ٥٣٩ و ٥٩٠) بل بَبَّا زبَّاي وصورة هذا الاسم نفس الصورة التي ورد عليها اسم قائد الفرسان التدمريين الاعلى . ٤ ان في تسمية زينب بنت زباي دلالةً صادقة ليس فقط على انها عربية الجنس بل ايضًا على انَّها من آل أُذينة اي من بني السميدع كما يقول معظم مؤرخي العرب . ٥ ان العرب الذين قالوا انَّ زينب كانت اختًا للزبَّاء قد حفظوا في الحقيقة اسمَي ملكة تدمر . الَّا انهم ظنُّوا غلطًا ان زينب والزبَّاء اسمان لشخصين مختلفين (ستأتي البقيَّة)

---

١) وعلى ذلك قول الاعشى : انال أُذينة من ملكهِ واخرج عن اهلهِ ذا يزن

٢) راجع زوناراس ١٢ : ٢٤ وتريبيليوس Trig. Tyr. 14-16 وزوزيموس ١ وغيرهم

التنوير

للاب موريس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيّات في المكتب الطبي

(تابع لما سبق)

٦

التنوير بالكهرباء

قد بقي علينا لتتمة مقالتنا في الطرق المختلفة للتنوير ان نبسط الكلام في اقوى ادوات الاستضاح واهمها نعني بذلك الكهرباء. واوّل ما وُجد النور الكهربائي في اوائل هذا القرن يوم اتّخذ العلّامة الكيمياوي السير همفري داڤي اسطوانتين من فحم الخشب اوصلهما بقُطبي بطاريّة قوية ذات ألفَي عُنصر فسطع نورٌ باهر بين رأسيهما لكنّ هذا الاكتشاف لم يمكن الانتفاع به في الصناعة لتنوير العامّة الّا منذ وقوف الدكتور فارادي على مجاري الكهرباء الثانوية ووضع الادوات لتوليد هذه المجاري المعروفة بالدينامو

ومبدأ المجرى الثانوي في الكهرباء فانّ مرجعهُ الى هذا المعنى: اذا ادرت في ساحة ممغنطة موصلًا ذا دائرة مغلقة صار الموصل المذكور مركزًا لمجرًى آخر من الكهرباء يُدعى مجرًى ثانويًا. امّا الآلات الكهربائية فهي ادوات تحوّل بها القوّة الميكانيكية الى قوّة كهربائية وذلك بان تُدار بسرعة في نطاق ممغنط عدّة ادوات قابلة تتّصل باسلاك مغلقة الدائرة

الالات المولدة للكهرباء او الدينامو

انّ الذي يجعلُ في آلات الدينامو ساحةً ما ممغنطة ليس هو من المغناطيسات الثابتة بل المغناطيسات (م م) الكهربة (électro-aimants) التي منها يتركّب المُوَلّد (inducteur) وهي تقبل المجرى الكهربائي الذي تحتاج اليه امّا من الآلة نفسها وامّا من آلة مختلفة يقال لها منبّهة. وبين ساقين الملفّتين تدور بقوّة آلة محركة (ب ــ ب) ملفّتان (ل ل) قابلتان للمجرى الثانوي. وقد يضمّ هذه المجاري آلةٌ جامعةٌ (ج) تدور معها ثم تتصعّد هذه المجاري بواسطة مقشّتين (ك ك) ثابتتين تمسّان الآلة الجامعة ومنهما تبتدئ الاسلاك (راجع الشكل الاوّل)

وهذه الآلات تختلف صورها وتراكيبها اختلافًا كبيرًا. وما وصفنا منها آنفًا يُولّد مجرى الكهرباء بتواصل اي بدون تغيُّر في وجهته. ويوجد منها اصناف أُخر مجهّزة لتغيير المجرى بحيث يمكن في كلّ لحظة عين ان يحوّل مجرى الكهرباء ويعكس. وربّما وُجدت في بعض

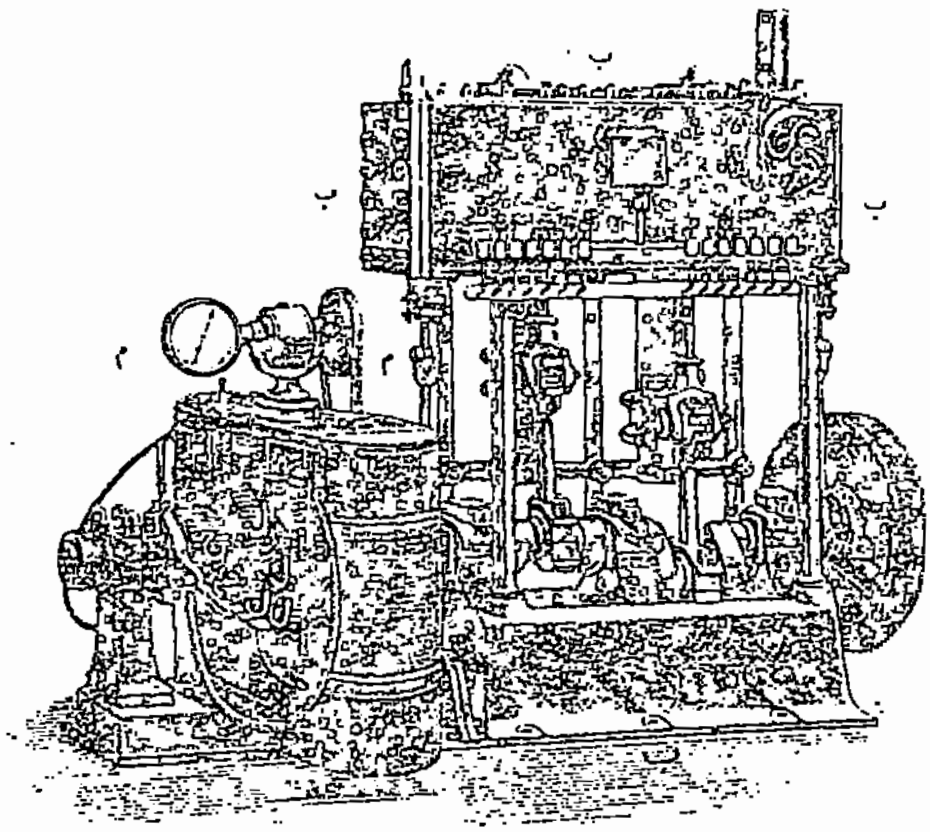

آلة الدينامو

الآلات تجارٍ كثيرة متناوبة فتدعى اذ ذاك الآلة ذات تجارٍ متعدّدة الوجوه. ولا يُخفى انهُ يجب في هذه الآلات ان تكون قوّة المحرّك للآلة المولّدة مناسبةً لقوّة الدينامو وان بين سرعة الدوران وقوّة المجرى تناسباً. ويجوز انْ يُتخذ الماء او البخار او الغاز او البترول كقوّة محرّكة بشرط ان يكون عملها مضبوطاً منظماً

والمجرى الكهربائي الناتج من الدينامو يتجمّع في جهاز يُدعى جهاز التوزيع فهناك يُقاس بواسطة ادوات التعريف ثمّ يوجّه حيث تقتضي الحاجة. واذا اردتَ ان تُبطل حركة الدينامو في الليل يمكنك ان تخزن المجرى الكهربائي في آلات خازنة او بطاريات ثانوية تكون كاحواضٍ تخزن فيها الكهرباء فتُستخدم عند الحاجة

٢ المصابيح الكهربائية

هذه المصابيح على صنفين منها ذات قوس ومنها ذات تشعشع. ففي الضرب الاوّل

تُطلَق الشرارة الكهربائية بين اسطوانتين من الفحم المعدّتين لهذه الغاية. ولانّ هاتين الفحمتين تفنيان بالالتهاب فقد اودعتا في جهاز ذي حركة ذاتية يضبطهما في مسافة واحدة ثابتة. وهذه المصابيح شديدة الضوء يمكنها ان تبلغ درجةً من النور توازي الوفاً من مصابيح كَرسل المثالية (راجع ص ١٨٢). واكثر استعمالها في الشوارع والساحات العمومية وفي المعامل الكبيرة وفي محطّات السكك الحديدية وفي الآلات المرسلة النور والمنارات الخ

امّا المصابيح المتشعشعة فاصطناعها مبني على مبدإٍ آخر وهو انّ الجري الكهربائي اذا ما تلاقى في سيره بجسم قليل التّقبل للكهرباء اعني مانعاً لجريها يحمى الى ان يلتهب ويتشعشع نورهُ. وزد على ذلك انّ هذا الالتهاب ربّما حدث في نقطة لا تصلح للاشتعال فيبقى السلك المنوّر زمناً طويلاً لا يصيبهُ تغيير يُذكر. ولذلك تتخذ اجهزة من الزجاج يجعل فيها سلك من الفحم متّصل بمجرى الدينامو ثمّ يترع الهواء من الزجاجة بالآلة المفرّغة ويُختم رأسها فيبقى الفحم منوّرًا لا يفنى بالاحتراق لخلوّ الانبوبة من الاوكسيجين

واصناف المصابيح المتشعشعة كثيرة وهي مختلفةٌ ايضاً في شدّة تشعشعها. ومنها ما يُباع في التجر فيبلغ من حيث شدّة نورهِ ما يوازي مئاتٍ من الشموع المثالية. وبين هذه المصابيح صنف شائع للاستصباح الخاصّ في معاهد الشغل توازي شدّة نورهِ ست عشرة

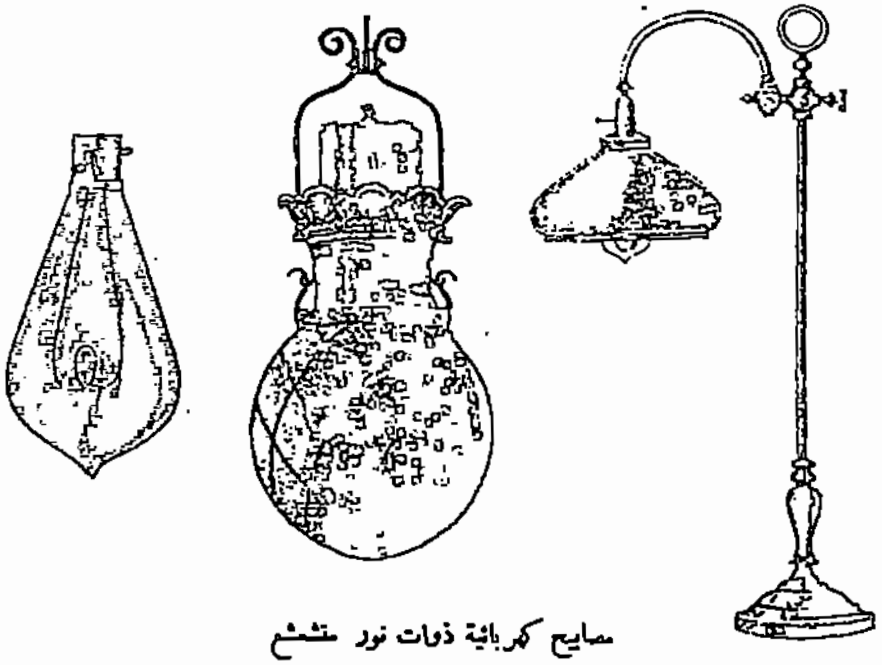

مصابيح كهربائية ذوات نور متشعشع

شمعة مثالية . وقد استفدنا من مطالعة المجلات العلمية الاخيرة انهُ قد اكتُشف حديثاً مصباح كهربائي بلا سلك ولهُ ضياء ساطع شبيه بالضياء الصادر عن انابيب غسلر وذلك بقوة المجاري ذات السرعة الفائقة التي سبق لنا الكلام عليها في هذه المجلة

٣ اسعار المصابيح الكهربائية

لكي يقف قرّاؤنا على ما ينفق من الاثمان في اتخاذ المصابيح الكهربائية احببنا ان نبيّن لهم ذلك بمثل المصباح ذي النور الكهربائي الموازي لستّ عشرة شمعة . فان افترضنا ان جملة ما اعدّت كلّ اللوازم لتحضير النور الكهربائي وانها بلغت نحو ٤٥٠٠٠ فرنك لتنوير ٢٠٠ مصباح وذلك لقاء كلفة ثلاث آلات بخارية وثلاث آلات دينامو وتركيب الجهاز والموصل الكبير وغير ذلك . فتكون كلفة المصباح المثالي في كل ساعة نحو خمسة سنتيمات واذا قابلت سعر التنوير بالكهرباء مع سعر التنوير بالغاز تجد انّ اسعار النور الكهربائي ارخص في المعاهد التي يُحتاج فيها الى النور مدّة ساعات طويلة وهو اغلى في ما سوى ذلك

٤ منافع النور الكهربائي

قد سبق انّ النور الكهربائي من حيث شدّة ضوئهِ يبلغ غايةً بعيدةً . بيد انّ صحّة العين تقتضي اذا اتُخذ النور المقوّس ألّا يصيبَ هذا النور حدقة العين بل يُحجَر بينهُ وبينها . وذلك لانّ لون نور الكهربائي يضرب الى الزُرقة ويدخلهُ كثير من الاشعّة البنفسجية والاشعّة الواقعة في الطيف الشمسي بعد خطّ الاشعّة البنفسجية وكلها يؤذي العين فيخفف اذاها بوضع زجاجة مطلية بطلاء ابيض

امّا المصابيح ذوات التشعشع فليس فيها شيء من هذه المضارّ فانّ نورها لطيف رائق ليس فيهِ حرارة او لا يعبأ بحرارتهِ لقلّتها . وهذه المصابيح لا تحتاج لاصلاح او تعمير ولا ينتج عنها ألّا نادرًا خطر الحريق

ومن خواصّ هذه المصابيح انّهُ لا يُفسد بها الهواء ولا يتصاعد من نورها الحامض الكربونيك لانها كما سبق القول مقفلةٌ باحكام وضوءها يسطع دون مسّ الهواء . وذلك هو الداعي لاستعمال النور الكهربائي في بلاد كثيرة وكذا المراكب والملاعب والعمارات الحربية . والمعامل التي تُجهَّز فيها الموادّ القابلة الانفجار تُفضّل اتخاذ الكهرباء استدراكاً للاخطار

هذا ويحسن بالبلاد السورية استعمال الكهرباء في التنوير لانّ تجهيز آلاتها سهل جدًّا

وذلك بالانتفاع من الشلالات الطبيعية كشلال جزين الذي يبلغ علوُّه تقريباً مئة متر وكشلال بتدين المعروف بالشالوف او بتهيئة شلالات اصطناعية في نهر الكلب ونهر بيروت ونهر بَرَدى وهلمَّ جرًّا . فانها اذا احكم إعدادها يمكنها ان تحرّك الآلات المولدة للكهرباء . واليوم ترى في اوربة حتى القرى الصغيرة منوَّرة بالنور الكهربائي وربما استعمل القوم قوَّة الكهرباء لتحريك ادوات الصناعة والدواليب وتدفئة البيوت وطبخ الاطعمة الخ

الختام

وهنا نختم مقالتنا المطوّلة في وسائل التنوير . الَّا انَّها مع طولها ليست الَّا بحثٌ ملخَّص عن كتب ضخمة أُسهب فيها القول عن هذا الموضوع المهمّ وعلى كلّ حال انَّها لكافية ليكون للشرقيين بعض الالمام بهذه المادَّة الخطيرة . وهاك جملة ما نستلخصهُ هنا عمَّا سبق فنقول

انَّ البلاد التي ليس بقربها مياه وانهار منحدرة من علو او التي يقلُّ مهندسوها لتجهيز الآلات فالاولى ان تستنير بالبترول وهو ارخص لها ممَّا سواهُ . امَّا المدن فيُفضَّل فيها اتخاذ الغاز لاسيَّما مصباح اوَر ان وُجد فيها معمل لتوزيع الغاز . واذا كان هذا المعمل يُجهّز الكهرباء والغاز معاً كما يجري ذلك في مدن مختلفة فرارًا من المزاحمة فالاولى ان تختار الكهرباء نظرًا لمنافعها الصحيَّة ولكن كما قلنا سابقًا اذا قلَّت ساعات الاستنارة بها اضحت الكهرباء اغلى من الغاز

امَّا بيوت الخاصَّة فان احبَّ اهلها اتخاذ الكهرباء للتنوير فذلك امر نافع جدًّا الَّا انَّ النفقة لذلك طائلة باهظة

واذا كان لمعامل الصناعة آلات محرّكة سواء كان في المدينة او خارجًا عنها فان صالحها يقتضي استعمال الكهرباء للتنوير . وكذا قل عن البنايات العمومية التي تحتاج الى عدد وافر من الأنوار

هذا ومهما كانت الطريقة المتخذة للتنوير فالواجب ان يتذكَّر قرَّاؤنا انهُ يتحتَّم عليهم اتخاذ بعض الوسائل الصحيَّة ليصونوا عيونهم ورؤوسهم من أذى الضوء . وهذا الامر اكثر ضرورةً في المدارس حيث يُقتضى الدرس في ساعات الليل . وقد اتت الاكتشافات الحديثة وسائط لاستدراك هذه المضارّ التي قلَّما تصيب من اشتغل بضوء النير الكبير الذي اشعله الله تعالى في كبد السماء ليُضيء الارض

درس العربيّة

خطبة الناها الاب لويس شيخو اليسوعي في حفلة توزيع الجوائز في كليّة القديس يوسف

هي اللغاتُ ترى في سيرها غيرًا تبدو فتذكو لحين ثمَّ تنكسفُ
كالنبت يبدو ضئيلًا ثمَّ يعقبهُ زهرٌ وطيبُ ثمارٍ ثمَّ ينتصفُ

ايها السادة الكرام

هذا ما نعت به بعض شعراء العصر لفيف اللُّغات التي شاعت بين الملأ في ممرّ الاجيال. وايمُ الحقّ انَّ من اعتبر تاريخ ألسنة البشر واستقصى ما طرأ عليها من التقلّبات يراها في اطوارها اشبهُ باطوار حياة كل حيّ على الارض اعني انها تولد كالطفل الرضيع ثمَّ تتحرَّر من قُمُطها فتنشأ وتترعرع كالحدث اليافع ثمَّ تزدهر فتبلغ عزّ قوَّتها كالكهل التامّ الشباب الى ان يتقلّص ظلُّها وتتضعضع قواها كالشيخ الهَرِم فتموت وتضحي نسيًا منسيًّا في بطن المكاتب او زوايا المدارس كالميت المحنَّط المدرَج في ضريح قبره.

بيد انَّ الله عزَّ وجلَّ قد استثنى من حكمه هذا بعض اللغات فخصَّها بحياة اطول ممَّا سواها فتخالها كالنَّسر لا تزال تجدّد شبابها وتعمّر العمر الطويل الذي هو أحرى بان يدعى صَنَفًا من الخلود

ولغتنا العربيّة ايها السادة الاجلاَّء قد اصابت من هذا القبيل بالسَّهم الفائز والقِدح المعلّى فانَّ من يتتبَّع آثارها ويتحفى في درس تاريخها مدى القرون الغابرة يراها في كلّ آنٍ مزدانةً بخواصّ اللغات الكاملة من حيثُ مفرداتها وتراكيبها وعباراتها واساليبها كأنَّها ظهرت بادئ بدء تامَّة العدَّة كاملة الأهبة. واذا قابلنا بين اللغة الشائعة في يومنا مع لُغة اقدم الشعراء كامرئ القيس والنابغة لا نكاد نرى بين اللغتين اختلافًا يُذكر اللهمَّ الّا في استعمال بعض الفاظ لغويَّة شعريَّة كما يرى ذلك في نثر ونظم كلّ اللغات القديمة او في اتخاذ بعض التعابير الجديدة دلالةً على المعاني المستحدثة كما هو دأب اللغات الحيّة.

فكاني اذن بالعربية عذراء فاذنة الجمال تامّة الشباب لم تأنس بضعف الطفولية ولم تعرف غضون الهرم

ومن عجيب امر لغتنا العزيزة انّهُ مرّت عليها صروف الدهر وكوارثهُ دون ان تمسّها الايام باذًى فترى الشعوب تتوالى بضبط عنان الامر وتجلس الدول واحدةً بعد أخرى على منصّة الملك وتخت السلطنة والعربية باقيـة كما هي لا يُصيبها تغير جوهري ولا يستولي عليها فساد

وقد كان سرى اليهـا في غرّة هذا العصر بعض الخمود والفتور حتى اننا كنّا نسمع منذ خمسين سنة من يتنبأ للغة العرب بسوء العُقبى وشرّ المنقلب. فيقولون لا يمرّ على اللسان العربي العشرون سنة دون ان يدرج في الاكفان. فيصير الى خبر كان

قد كذبت والحمد لله اراجيف انباء السوء وها انكم ايها الجلوس الكرام ترون العربيّة في ايامنا اعزّ شأنًا وابهى مقامًا منها في الاجيال السالفة وكيف تموت وقد عُدَّ المتكلّمون بها فاذا بعددهم يُربي على المئة ألف الف ؟ او كيف تموت وقد خلّفت لنا اسمُها السابقة كنوزًا ادبية وتركةً علميّة تُزري بقلائد العقيان ودراري المرجان ؟ او كيف تموت ويحييها كلَّ يوم دَبَوات من الكتبة البارعين والشعراء المفلقين ؟

لا وحياة الحقّ انّ العربية لم تمت ولن تموت ولست ارضى بشاهدٍ على هذا القول سوى ما رأيناهُ رأي العيان منذ خمسين سنة اذ نشطت النفوس وقام قائم الهمم في احياء آثارها الدائرة فبلغت الآداب العربية بعد برهة من الزمان ما لم يكن في الحُسبان

وما من شأنهِ ان يُذهل العقول ويُدهش الالباب انّ الاجانب كانوا اول من شمّر عن ساعد الجدّ للقيام بهذا الامر لا يَثنيهم عن اتمامهِ سعيٌ ولا كدّ. فانّهم لمّا أمعنوا النظر فيما أودعتهُ مكاتبهم الاوربية من المصنّفات العربية وشاموا برق فوائدها الجمّة اقبلوا على دراستها ولا اقبال الايل الصديان الى ينابيع المياه فنشروا منها قسمًا كبيرًا بالطبع وانشأوا المجلّات العلميّة للبحث في خواصّها وعوائدها واجتنـاء فوائدها وفوائدها بل لم يدعوا مدرسة من مدارسهم الكلية الّا وفرضوا فيها درس اللغات الشرقية وعلى الاخصّ لغتنا العربية بفروعها. ولو حاولتُ ان اسرد اسماء من يرزّ عندهم في هذا المجال لاسيّما بين مستشرقي فرنسة كدي ساسي ودرينو ودي پرسڤال وبين مشاهير المانية كفريتاغ وفلوغل لطال بي المقال وادّى بي الى الخروج عن حدود الايجاز المفروض في مثل هذه الحفلات. وحسبي ان اقول انّ

المطبوعات العربية وحدها التي تصدر في انحاء اوربة فضلًا عن بقية اللغات السامية تنيف كلَّ عام على الالف والثلاثمائة بين التآليف الصغيرة الحجم والكبيرة ذات المواضيع المتوسطة والخطيرة . وذلك بلا مراء اقوى دليل على ما في علماء الغرب من الكَلَف بنشر كتبنا العربية

هذا وانَّ شرقنا العزيز لم يك ليعاين هذه المساعي المشكورة بعين جامدة بل استنزَّتهُ الاريحية فنزل في الميدان ليحاول السباق مع الغرب كأنهما فرسا رهان . فلم يلبث الَّا الزمن القليل حتى جاءت همَّتهُ القعساء بثمار شهية ارتاح اليها سواد العلماء فزهت معامل الطباعة في القاهرة وتباهت الاستانة العلية بمطبوعاتهـا واستلفتت اقاصي الهند نظر الادباء بما اصدرت من المصنَّفات الجليلة

وكاني بكم ايُّها الحضور الكرام . توجَّهون اليَّ سهام الملام . فتقولون وكيف ذهلتَ عن بلادنا السوريَّة مع ما احرزتهُ من هذا القبيل من المجد الاثير . واصابتهُ من المقام الرفيع الخطير

نعمًا القول سادتي وما سكتُّ عن مفاخر بلاد الشام الَّا لأفردها بالذكر . وأخصَّها بجسيم الشكر . والحقُّ يُقال انَّها قامت بهذا المشروع قبل سواها من الاقطار الشرقيَّة . فلها على اقرانها سابق الفضل وشرف الاوَّلية . فانَّ اسماء مدارس عين ورقة والشرفة ومار عبدا ورينون وعينطورة وعين تراز ودير الخلِّيص وغزير وغيرها اصحت اشهر من نار على علم

أجل لقد مرَّ على سوريَّة نيِّف وخمسون سنة منذ اخذ الشبَّان يشدُّون اليها الرحال . ويتقاطرون اليهـا من كل أوب ليستقوا من موارد آدابها الماء الزلال . وهم يبنون على تهذيب مدارسها اطيب الآمال . الَّا انَّ بيروت لم تلبث ان تجتذب اليها كالمغناطيس كل القلوب بحسن موقعها واعتدال هوائها وتوسُّطها بين البلاد مع ما خُصَّ به اهلها من الانس ولطف الطباع . وذلك فضلًا عمَّن قام وقتئذٍ فيها من مشاهير الرجال ممَّن أُشير اليهم بالبنان ألا وهم قوم من الأئمة جمعوا من الفضل اتمَّهُ . ومن العلم والآداب تمَّهُ وردمَّهُ . فاستوجبوا كلَّ ثناء على مساعيهم المبرورة . واعمالهم المشكورة . فباغراثهم هبَّت بيروت من سِنتها . ونهضت من رقدتها . وعادت بالفكر الى ما سلف من الاجيال فتذكَّرت سابق شهرتها . اذ كانت فيها المدارس زاهرة . والبنايات عامرة . والخيرات وافرة . فقـال لسان حالها : « لات وقت خمول وتكاسل . وحانت ساعة عمل »

فما كان اسرع من ردّ الطَّرْف حتى انتعشت في بيروت الحميَّة فجعلت ترتقي مراقي

النجاح . وتصعّد في معارج التقدّم والفلاح . فانتشرت فيها المطابع وتشيّدت المدارس وتوفّرت فيها نوادي العلوم كالمدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة حتى صارت تحطّ عصا الترحال . ومورد مطامع الآمال . وكنت ترى للعربية . في هذه النهضة المرتبة العليّة لا يكاد يمرّ يومٌ دون ان يتحفنا ادباء بيروت بالمقالات الرائعة . والتصانيف البارعة . فضلاً عن عدد وافر من الجرائد والمجلّات العلميّة فصارت في أعين اوربة مطبوعات بيروت كناية عن مصنّفات تامّة المحاسن جامعة بين حسن السبك وجودة المعاني . فلله بيروت فانها حقيقةً اضحت كروضةٍ غنّاء . تستظلّ بوارف ظلّها جماعة طيور السماء .

وان سُمح لي ايها السادة ان اتخلّص من مدح بيروت ومداوسها الزاهرة الى ذكر كليّتنا هذه العامرة التي شرّفتمونا بحضوركم في هذا المساء . قلتُ انّ احدى الغايات الاولى من تشييد هذه الكليّة انّما هو تلقين تلامذتها لغتهم العربية . وما ضرّ انّ كثيرًا من الرهبان المتولّين ادارتها ليسوا من ابناء الوطن لأنهم لمّا انتقوا بل رضاهم من اوطانهم وانفصلوا عن اهلهم وخلّانهم اتّخذوا لهم محلّ سكناهم كوطنٍ فاتّسموا بسماهُ واستشعروا آدابهُ فجعلوا لسانهُ كلسانهم . كما انّهم يُعزّون سلطانهُ كسلطانهم

وعلاوة على ذلك انّ بين قوانين الرهبانية اليسوعية بندًا يفرض على ابنائها اذا ما دخلوا بلدًا ان يتفرّغوا لدرس لغته ما لم تحُل الظروفُ دون مرامهم . يشهد بذلك مئات بل الوف من الكتب وضعوها في كلّ لغات الشرق كالصينية واليابانية والهندية والفارسية . وعليه فما كادت ترسخ قدمهم في الاصقاع السوريّة حتّى انكبّوا اي انكباب على درس العربية . ولا حاجة لي ان اعدّد هنا من خلّف منهم لسلفهم إرثًا علميًّا لا يزال يستشيرهُ آل عصرنا . وقد انتسى بامثالهم من اتى بعدهم . واليومَ لا نكاد نرى بابًا من العلوم الّا ولجوهُ ولا فنًّا من فنون العربية الّا وضعوا فيه عدّة مؤلفات . فانّ الكتب التي صدرت من مطبعتهم بقلم مؤلفيهم قد جاوزت الثلاثمائة عدًّا . هذا ما خلا جريدتهم الاسبوعية . ومجلّة جديدة اخذت تبحث في كلّ مواد المعارف البشريّة .

ولكن اذا كان اليسوعيون لم يألوا جهدًا في درس العربية ما أمكن ليست همّتهم بتدريسها اقلّ شأنًا . ولا اعتبارهم لها بين بقيّة الدروس اوضع مكانًا . نعم اننا نريد ان يُتقن تلامذتنا اللغات الاجنبية لا في إحكام اصولها من الفوائد لتثقيف العقل وتحسين الذوق فضلاً عن أنّها تُدنيهم الاقتباس من انوار اوربّة وعلوم اهلها وآدابهم

واكتشافاتهم. الّا اننا نرد ايضاً ان يتمكّن الطلبة الواردون الى مدارسنا من معرفة لغة اجدادهم فيبذلوا اقصى ما تبلغ مقدرتهم من الجدّ لاحراز فوائدها. وذلك امر لازب لانّ الغاية التي نتوخّاها في مدارسنا ان نُعدّ للاهلين اولاداً يكونون لهم يوماً في اشغالهم سنداً. وفي خدمة وطنهم عوناً وعضداً. فان جهل هؤلاء الاحداث لغة آبائهم فترى اي خدمة يؤدّون. واي نفع يُجدون

فذاك ما حمل في كلّ آن رؤساء هذه المدرسة الكليّة. ان يعزّزوا بين طلبتهم الدروس العربية. ويفُرها حقّها من الاعتبار والاهميّة. وكان اوّل ما استلفت ابصارهم ان يجهّزوا للتدريس الكتب المقتضاة لهذه المهمّة وهي كانت قبلهم اعزّ من الغراب الاعصم لا يقتنيها الطلبة الّا بعد الجهد الجهيد وصرف النفقات الطائلة وكان اكثرها مشحوناً بالمقاطيع البذيّة. والقصائد الغزلية. والاقاويل المخلّة بالآداب والطاعنة بالمعتقدات الدينية. فها اليوم قد توفّرت والحمد لله بهمّة رؤساء هذه الرسالة الكتب المدرسية لكلّ طبقات التدريس. فما شاعت بين الناس حتّى جنحوا اليها واقبلوا عليها وجعلها البلغاء دستوراً للتعليم في المدارس الشرقية والغربية

ومن الوسائط التي اتّخذوها لإعلاء منار العربية ما اقاموهُ في هذه المدرسة من المحافل الادبية وهي مجالس يجتمعون فيها نُخبة التلامذة ليبسطوا لهم القول في مسائل ادبية ومباحث لغوية ومشاكل تاريخية. لا يمكنهم الخوضُ فيها في المدارس العاديّة. ثم تُقترح على هؤلاء التلامذة ابحاث في بعض المطالب شحذاً لقرائحهم وقدحاً لزَند فكرتهم فاذا انتهوا من التصنيف جُمعت اشغالهم ونُقحت ثمّ تُعرض بعدئذٍ على مسامع الجمهور في جلساتٍ تُعقد امام اعيان البلد. وهذه عناوين بعض المواد التي دار عليها البحث تنبئكم على خطارتها: مفاخر بيروت. وتنصُّر النعمان. والقديس يوحنا فم الذهب. وشهداء نجران. والآداب العربية. ونكبة البرامكة. والقديس يوحنا الدمشقي. والمأمون وعصره. الى غير ذلك مما يشهد بفضل اعضاء هذه المحافل

وربّما لُقّن طلبةُ المدارس العُليا فنّ التمثيل وحسن الأداء في مدارسهم ثمّ اذا سنحت الفرصة يدعون اعيان البلد لتشخيص روايات مفجعة يُحيون بها بعض المآثر الجليلة والحوادث الخطيرة. فمن جملة ما مثّلوا الى اليوم: رواية صدقيا. وآخر دولة المكابيين. وداود ويوناثان. واستشهاد القديس يرجس. وشهيد الوفاء. ومنها ما صنّفهُ طلبة مدرسة اليان

والخطابة كرواية ابن السموءل ورواية المهلهل

ومما توسّل به اصحاب هذه المدرسة من الوسائل لتنشيط الدروس العربية انشاء مكتبة عمومية لجميع التلامذة تجمع الى الآن نيفاً وثلاثمائة كتاب عربي يمكن الطلبة النظر فيها في ساعات العطلة وأوقات الفراغ من الدروس. فسرّنا ما لقينا في الكثيرين من الاقبال على مطالعة هذه الكتب يدرسون فيها اساليب الكتابة ويوسّعون نطاق معارفهم

هذا الى وسائل أخر عديدة يقضي عليَّ قصر الوقت بضرب الصفح عنها الّا انَّ في ما تقدَّم دليلاً بيّناً على ما يصرفهُ آباء هذه المدرسة من العناية في تدريس العربية

وفي الختام لا يبقى لي أيُّها السادة الكرام الّا ان اطلب من لطفكم ان تقرنوا مساعيكم بمساعينا وبجهودكم بجهودنا لتحببوا الى اولادكم درس لغةٍ نمّتهم منذ صباهم وغذوا بلبانها في عنفوان شبليهم فاضحت قسماً من وجودهم

وانتم أيُّها الطلبة الاعزّاء اليكم اوجّه خطابي محرّضاً لكم بل سائلاً بزيد الالحاح. ان تداوموا على درس لغتكم الشريفة لا يثني عزمكم في تعدين كنوزها عناء ولا مَلَل لاسيَّما في ايَّام العطلة السنويَّة فانكم بدرسها تجتنون الفوائد الجمَّة وتدَّخرون المنافع العظمى كيف لا وفيها تجدون سهماً لقريحتكم ونشاطاً لعقلكم وتحسيناً لذوقكم مع ما في كثير من تآليف اربابها من لطيف المعاني ورقَّة الالفاظ وحسن سبك العبارة ورقة التكلُّف وكثرة التفنُّن

ثمَّ اعلموا انَّهُ دون التبحُّر في لسانكم لا يمكنكم التصدُّر في نوادي الادباء. ومجالسة من في اوطانكم من الوجوه والشرفاء. فانكم وان احكمتم اللغات الاجنبية لا تنجون من تقريع بني وطنكم لانتسابكم الى غير أنسابكم. وذهولكم عن عوائدكم وآدابكم وكفاكم بذلك خزياً وعاراً

بل دعوني بالاحرى ان اقدّم التهاني لمن اصابوا قصبة السباق في ميدان الدروس العربية واتمنّى لجميعكم ان تتقفّوا آثار من سبقكم من الطلبة في هذه الكلّية الذين يدرس لغتهم فتحوا لهم باباً واسعاً وطريقاً سهلاً ادّى بهم الى ما التمسوهُ من الامور الشريفة والمراتب المنيفة. فليحملكم مثلهم على التأسي بهم لتنالوا جزاء اجتهادكم ونشاطكم. هذا ما اطلبهُ منهُ تعالى وهو سميع الدعاء. ومحقق الرجاء. امين

كتاب
تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

وكان بعض الامراء بمصر قد رقّ خاطرهُ على المذكورين فكلّم السلطان في امرهم فلم يسمع السلطان كلامهُ وقال: هؤلاء لا أفرج عنهم ولا أرذيهم حتى افتح طرابلس وصيدا وبيروت. وقيل انَّ الامير الذي تكلّم فيهم بدرُ الدين بيليك (١ الخزندار وكان قد صار نائباً عن السلطان المذكور فاستمرَّ المذكورون في السجن الى بعد وفاة السلطان ولم يُخرج عنهم اقطاعاً ولا ملكاً

(قلتُ) وربما كان في مدَّة سجنهم بمصر طغيان نجم الدين محمَّد بن جمال الدين حجي بن محمَّد (٢ وتسليطهُ على اولاد علم الدين معن بن معتب (٣ وعلى غيرهم وتجرّؤهُ على قتل قُطب الدين السعديّ (٤ في كفرعمّيه (ان كان هو قاتلهُ) لغيبة المذكورين عنه

وسمعتُ ممن نقل الاخبار عن الاوائل انَّهُ لمَّا جرى على الغرب ما جرى لاجل قتل قطب الدين كما سنذكر ان شاء الله (٥ فيما بعد وبلغ الخبر زين الدين بن عليّ وهو بسجن مصر تاسَّف على ما جرى وقال: آه لو كنتُ حاضراً. فقال لهُ الموكّلون عليه: ما عساك كنت تفعل يا مولانا؟ فردَّ عنهُ الجواب جمالُ الدين بعقله وقال: لكان أصلح القضيَّة. وهذا يدلُّ على انَّ الافراج عنهم كان عقيب هذه الحركة بمدَّة قليلة. وذلك بيّن ظاهر لمن ينظر في هذه التذكرة

---

١) هو احد مماليك الملك الظاهر اشتراهُ صغيراً وهو امير فلمَّا تسلطن استمرَّ به الظاهر نائب السلطنة وفوَّض اليهِ جميع احوال المملكة. ثمَّ صار الامر بعد الظاهر الى ولده الملك السعيد ابي المعالي بن بيبرس فاقرَّه في ولايته الَّا انهُ مات بعد قليل سنة ٦٧٦ (١٢٧٨ م)

٢) هو الولد الذي عنَّ اباهُ جمال الدين فحرمهُ الميراث (راجع ص٥٦٥)

٣) هو معن بن معتب بن ابي المكارم الذي ورد ذكرهُ في شجرة التنوخيين (راجع ص ٣٧٣)

٤) راجع ص ٥٦٤ (٥ راجع ص ٧٠٢

ونحن نذكر بيان كلّ الحركة (كذا) كما سمعنا الامر نقلًا عن القدماء ومطابقةً مع الاوراق الموجودة عندنا مؤرّخةً بذكر هذه الحركة ثم نعرض ذلك على ما ذُكر في كتُب المؤرّخين الذين كانت ايّامهم مطابقة لايّام الحركة المذكورة. وجلُّ القصد بذلك وضع الامور على المطابقة بقرائن يقبلها العقل ويصوغها الفكر وقد اجتهدتُ على صحة ذلك وما توفيقي الّا بالله

(اقول) لمّا قدّر الله بوفاة السلطان الملك الظاهر بدمشق في السابع والعشرين محرّم سنة ست وسبعين وستمائة (١٢٧٧ م) اخفى بدر الدين بيليك موتهُ وتوجّه بالعسكر الى مصر ومعهم محفّة يظهر ان السلطان فيها ضعيف فلمّا وصل اظهر موتهُ واجلس ولدهُ الملك السعيد بَرَكة(١ على عرش السلطنة في اوائل ربيع الاول سنة ست وسبعين وسبعمائة وجعلوا عزّ الدين أيدمر (٢ نائباً على الشام ثمّ افرجوا عن زين الدين وجمال الدين واخيهِ سعد الدين المذكورين

ثمّ بعد ذلك كانت وفاة بدر الدين بيليك نائب السلطنة واستقرّ عوضهُ شمس الدين الفارقانيّ (٣

ووقفتُ على كتاب من زين الدين بن علي الى جمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين وسائر كبار الغرب كلّ واحد باسمهِ وعند البسملة الشريفة الظاهري (٤ . ملخص مضمونهُ « انّ كلّ ما جرى عليهِ هو من تزوير بني ابي الجيش. وانّهُ لمّا أمسكوهُ طلبهما بنو ابي الجيش في العسكر فما لحقوهما وانّهُ حمد الله على ذلك. وانّهُ ما اساء اليهم قطّ وانّهُ ان جرى عليهِ امرٌ فهو منهم فليأخذا بثارهِ ويكونا من الرجال. وانّهُ ان يخلص يكافئهما. وانهُ تحقق انّ الذي جرى عليهِ صادر من بني ابي الجيش. وانّهم بعد ذلك ارسلوا كتاباً على

---

١) هو بركة خان الملك السعيد ابو المعالي ابن الملك الظاهر تولى السلطنة سنة ٦٧٦ه (١٢٧٨ م) ومات بعد سنتين تقتطر بهِ الفرس في ميدان الكرك فانكسر ضلعهُ ومات من يومهِ

٢) هو ايدمر الحطيري كان احد الامراء الكبار تولى مدّةً نيابة الشام في ايّام الملك السعيد ثمّ جُعل استادار العالية في ايّام محمّد بن قلاوون. ومن آثارهِ جامع ابتناهُ في بولاق. كانت وفاتهُ نحو سنة ٧٤٠ه (١٣٤٠ م)

٣) هو الامير آق سنقر الفارقاني استقرّ نائب السلطنة بعد الامير بيليك فاقام على ذلك مدّةً يسيرة ثمّ قبض عليهِ الملك السعيد وسجنهُ بثغر الاسكندريّة ثمّ ارسل بخنقهِ فخُنق سنة ٦٧٦ (١٢٧٨م)

٤) كذا في الاصل ولا نفهم ما المراد بقولهِ: « عند البسملة الشريفة الظاهريّ »

يد ابي الغيث بن ابراهيم (١ من عرامون الى شهاب الدين بن نحو (٢ يقدّمها ويتحدّث عليها (٣ . وأنّ الكتب شكاوى عليه ويسألها امساك ابي الغيث (٤ و) المذكور ومقابلتهُ ». وهذا يدلُّ على انهم امسكوهُ في عسكر وانَّ جمال الدين واخاهُ كانا في البلاد. وربَّما كان هذا العسكر في غير هذه البلاد فتوجّه زين الدين اليه فمسك فيه.

واما قولهُ في الكتاب انَّهم طلبوهما في العسكر فما لحقوهما فيدلّ على انَّ زين الدين سُجن قبلهما فيكون العسكر تطلّب جمال الدين وسعد الدين بعد ذلك وامسكوهما وسجنوهما بعجلون والكرك. والدليل على ذلك انَّ سجنهما كان في ايّام الظاهر بيبرس والكتاب المذكور كُتب في ايّام الظاهر لا خلاف فيه.

ورأيتُ مُحضَرًا (٤ كُتب بعد هذه الواقعة تاريخهُ ثامن وعشرون من صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة (١٢٨٣ م) فاوردتُ اثباتهُ عند ذكر ما جرى على المذكورين من الكذب والزور. ومن مضمونهِ: « انَّ شهوده يعلمون انَّ تقيَّ الدين نجا بن ابي الجيش بن مفرج (٥ يُعرَف بالزور والافتراء والكذب فينسب زورًا للامراء زين الدين صالح بن علي وجمال الدين حجّي واخيهِ لأبويهِ سعد الدين خضر المكاتبات الى الفرنج المخذولين وغيرهم. وذلك لأنهُ معاند لهم وساعٍ في اذيّتهم وفيما يضرُّهم بكل طريق. وانَّ تقيَّ الدين المذكور توجّه الى صيداء وعكة في سلخ شهر حزيران سنة اثنتين وثمانين وستمائة (١٢٨٣م) بكتب مزوّرة بخطهِ عن المذكورين ولم يكن عندهم من ذلك علم ولا يعلم شهودهُ انَّ المذكورين يُنسبون الى شيء من ذلك ». وفيهِ شهود الميادنة (٦ من بلد صيداء ولهم شهود بالتركيّة

---

١) لا نعرف لهُ خبرًا ٢) كذا في الاصل بلا ضبط

٣) لعلَّهُ يريد بقولهِ « يقدّمها ويتحدّث عليها » انهُ حصل على نسخ من هذه الكتب فيقدمها زينُ الدين الى جمال الدين واخيهِ ويتحدّث عنها في كتابهِ لهما

٤) المَحضَر كالسجل والصكّ

٥) جاء في حاشية من اصل الكتاب ما حرفهُ: « ومفرج جدّ تقيّ الدين نجا كان افضل من ذرّيتهِ متبرًا بين الناس. ومن الدليل على ذلك اني وجدتُ بين الاوراق القديمة مشترًى باسم نجم الدين محمّد بن حجّي بن كرامة وهو بخطّ مفرج هذا وهو مفرج بن ابي الجيش بن مفرج وهو خطّ مليح يدلّ على ذكاء كاتبهِ. وتاريخهُ شهر ربيع الاوّل من سنة ثمان وثلاثين وستمائة. وجرت العادة ان يُعتبَر الذي يكتب كرجل فاضل وبليغ عارف باسر الكتابة »

٦) لعلَّهُ يريد قومًا من الصيداويين يسكنون الميدان وهي قرية من اقليم جزّين

من قوم تحت شهاداتهم (؟ ؟) بخطّ قاضٍ. وهذا المحضر كُتب في ايّام المنصور قلاوون فقدمتُ ذكرهُ ليكون بإزاء الكتاب المذكور ليعلم الواقف على هذه التذكرة عداوة بني ابي الجيش لهذا البيت. وكان يجب تأخيرهُ الى ايّام المنصور قلاوون لأنهُ كُتب عن حادثةٍ وقعت في ايّام غير الحادثة التي ذُكرت في ايّام الملك الظاهر بيبرس

[ووقعتُ على محضَر ثانٍ كُتب لزين الدين بن عليّ ولولديهِ عليّ وبجتر وجمال الدين حجي ولولدهِ محمّد ولاخيهِ سعد الدين خضر. ومن مضمونهِ: انهم مناصحون الدولة المنصوريّة مجتهدون في قمع المفسدين واخماد الفتن وانهُ ليس منهم احد يحبُّ الفرنج او يميل اليهم او يناصحهم وانّ جميع ما نُسبوا اليهِ من الاجتماع بالفرنج عند نزول العساكر المنصورة بساحل مدينة صيداء (بسم الله فتحها في شهور سبع وثمانين وستمائة (١٢٨٨ م) كان تشنيعاً من اعدائهم ومبغضيهم ليس لهُ اصل ولا حقيقة. والتاريخ في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة. وهذا في ايّام الملك المنصور قلاوون ايضاً. فيكون من ثمَّ قد وهم بالغيب من زعم انَّ الثلاثة المذكورين سُجنوا مرّتين وان النسخة الثانية في ايّام قلاوون وافرج عنهم بيدرا. والله اعلم(١]

ولنرجع الآن الى ترتيب الحوادث في اوقاتها تتلو بعضها بعض على دول الملوك وايّامهم. ومن الحوادث في ايّام زين الدين وجمال الدين وسعد الدين انهُ حضر الى الغرب في نهار الخميس في العشر الآخر من شهر صفر سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨م) عساكر وعشران من ولاية بعلبكّ والبقاعين وصيداء وبيروت لقضيّة قتل قطب الدين السمدي. وهذا كان قد استقطع كفرعمّيه من امراء الغرب فقُتل فيها وذكروا انَّ الذي قتلهُ هو نجم الدين محمد العاقّ لابيهِ جمال الدين وقد تقدّم ذكرهُ وطَرْدُ ابيهِ لهُ (٢. فاقامت العساكر والعشران في الغرب سبعة ايّام في نهب وأسر وحريق وهدم وخراب. وكان نجم الدين محمد المذكور وشرف الدين علي بن زين الدين بن علي قد هربا مع وفقةٍ لهما الى شقيف كفرغوص (٣ فتحصّنوا بهِ. فحضر اليهم بعض العساكر فاتلوهم واعتقلوهم وساروا بهم وهم يتبعون المنهزمين من الغرب حتى وصلوا الى كفرفاقود فافرجوا عن

١) ما وضعناهُ هنا بين معكفين [ ] قد ورد في ذيل الكتاب الّا انهُ من الاصل زادهُ المؤلف ونبّهَ عليهِ

٢) راجع ص ٥٦٤ و ٥٦٥ ٣) نقلها من اقليم الشحّار

المذكورين في كفرفاقود. وذكروا ان الشيخ العلّم (34) لمّا وصل الهاربون من الغرب الى كفر فاقود جهّز الميزى لتدوس الطريق وتخفي آثار الهاربين على من يتبعهم من العسكر. ولم نسمع أنهُ جرى على الغرب الخمس من هذه الحادثة. ثمّ صار الامر الى يدي الملك السعيد بركة بن الظاهر ونائبهُ بالشام عزّ الدين ايدمر (ستأتي البقية)

رواية الشقيقتين

للاب مغري لامنس اليسوعي

(تابع لما قبل)

ولم يكن هذا الافتراض بانّ الراهبة اغنس هي ابنتها وردة امرًا محالًا لانّ صوتها ووجهها لم يكونا بالشيء غير المعروف لديها بل كانت كلما نظرت اليها او سمعت صوتها تشعر باضطراب داخليّ لم تكن لتدرك سببهُ بل كانت منذ نظرت الى الراهبة المرّة الاولى أحسّت بانعطاف شديد ومحبّة عظيمة لها... وكانت تقول في نفسها انّ للقلب ادلّة وحججًا لا يفقهها العقل احيانًا فعلامَ لا نتبع الهامات القلب.... ثم كانت تعود الى رشدها فتقول كلاًّ انّ هذه اوهام بل اضغاث احلام فانّ وردة قد ماتت دون اشكال وعلى فرض انها ما برحت حيّة فانّها تكون أصغر سنًّا من الراهبة أغنس بزهاء عشر سنين على الاقلّ»

وبينما كانت متردّدة في الامر على ما مرّ بك الكلام تصدّق مرّة انّ الراهبة اغنس هي بنتها وردة وتنكر مرّةً الامر على نفسها عزمت ان تستجلي الغامض وتستطلع الحقيقة باسرع ما يمكن لها. وهي لهذه الغاية باحت لقرينها بما كان يخامرها من الظنون فعزم الزوجان ان يكاشفا الراهبة بما يتردّد على بالهما رجاء ان يحملاها على الاباحة بسرها وانها اذا لزم الامر يكاشفان الرئيسة ويستطلعانها طلع الراهبة وبالجملة انّ الزوجين تواعدا ان يتخذا جميع الوسائل لازالة الخفاء وكشف الغطاء.

على انّ عربة البارون تأخرت ذلك المساء عن الاياب في الوقت المعيّن خلافًا للعادة وكانت الحالة الجوّية قد ضيّقت في ذلك المساء بغتةً كما يحدث غالبًا في مثل هذا

الفصل من السنة فتلبّدت الغيوم في كبد السماء وانهمل الغيث مدرارًا يندفع على زجاج النوافذ وكانت الرياح السوافي تهبّ من وقتٍ الى آخر وتسمع انينًا مزعجًا اشبه بالنعيق وبالجملة كانت مظاهر الطبيعة تنبّه في النفس عواطف الحزن والشجن

وكان المسيو ب. وزوجتهُ قلقين بما لا مزيد عليهِ بل استولى عليهما الرعب والخوف بشدّة شديدة من جراء تأخر الجماعة عن القدوم. وبينما كانا على تلك الحال سمعا وقع حوافر الخيل ثم اقبلت عربة ووقفت لدى باب البيت فنزلت منها سوسنة وشرل وحدهما متخاصرين اما الراهبة فلم تكن معهما. بل اخبرت سوسنة ان الراهبة اغمي احسّت بضعفٍ على بغتة بينما كانوا قادمين من النزهة وحسن الطالع لم يكن الدير بعيدًا فنقلوها اليهِ حالًا ثم استدعي الطبيب بسرعة كليّة وبعد ان فحص امرها بتدقيق صرّح بان حالها تنذر بالخطر نظرًا الى ما كانت عليهِ المريضة من الضعف الشديد والهزال

١٣

نحن الآن (والساعة التاسعة من الليل) في حجرة حقيرة من حجر دير الراهبات خادمات المرضى في مدينة ڤيّنّة. وفي تلك الحجرة راهبة تصارع الموت ويصارعها وتنازلهُ وينازلها. وحول مرقد هذه الراهبة التي صارت على مقربة من هوّة الابدية جملة من الراهبات الزاهدات راكعات يصلّين سرًّا. . . . وكان الكاهن الذي أودعتهُ تلك الراهبة المنازعة آخر ما في نفسها من الاسرار يعظها في ساعتها الاخيرة المهيبة قائلًا:

« تشجّعي ايتها الاخت العزيزة فانّ الاكليل المعدّ للنفوس الكريمة انما ينتظركِ فوق في السماء. . . ان الله قد قبل التضحية التي قدمتها لهُ بمروءة وشهامة وشجاعة وسيقبل ايضًا صلواتكِ وتقدمة حياتكِ فدى الاشخاص الاعزّاء لديكِ »

وعندئذٍ ظهر على وجه الراهبة سيماء الموت القريب بصورةٍ ادركها الحاضرون فسجد الكاهن على ركبتيهِ ليصلّي الصلوة التي بها يُستودَع الله نفس المحتضرة فقال وقد خشعت نفوس الحضور :

« اخرجي من هذا العالم ايتها النفس المسيحية باسم الآب القدير على كل شيء الذي خلقكِ وباسم يسوع المسيح ابن الله الحيّ الذي تألّم من اجلكِ وباسم الروح القدس الذي حلّ فيكِ وباسم الملائكة ورؤساء الملائكة وباسم الآباء والانبياء وباسم الرسل

والانجيليين . . . وباسم القديسات العذارى وسائر اولياء الله وقديساته. وليكن اليوم مقرّكِ في السلام ومسكنك في صهيون المقدّسة

«استودعك الله القدير على كلّ شيء ايتها الاخت العزيزة واسلمك الى من انتِ خليقتهُ حتى اذا ما وفيتِ بالموتِ دين البشريّة تعودين الى مبدعكِ الذي انشأكِ من تراب الارض. ولتلقَ نفسك الخارجة من الجسد مراكبَ الملائكة النيّرين ومحافل الشهداء المنتصرين وصفوف العذارى المجيدات ولتقبلْ قبلةَ السلام قبلةَ الراحة الدائمة في احضان الاباء. ولتظهر لكِ صورة يسوع المسيح منشأ الحلاوة ومغرس الرجاء. وليهزم من امامكِ ابليس الرجيم واعوانهُ حتى اذا ما رأوكِ في صحبة الملائكة ترتعد فرائصهم ويولّوا مدبرين مندحرين الى دركات الجحيم حيث الظلمات الدائمة. . .»

وعندها امسك الكاهن عن الكلام ثم نهض ومنح المحتضرة البركة الاخيرة وانطلق من الغرفة حاملاً بيدهِ الزيت المقدّس

ولم يعد يُسمع في الغرفة الّا لهجة الراهبات الراكعات يصلّينَ بصوتٍ منخفض ثم تنفس بل حشرجة الراهبة المحتضرة. . . على انّ هذه الراهبة نهضت بصعوبة كلية بغتةً وابدت حركةً اشارت بها الى انّها تريد ان تتكلّم. فللحال وقفت الرئيسة عند رأس الراهبة اغنس ودفنت حزنها في اعماق صدرها محاولةً بذلك ان تنتزع من مخالب الموت تلك النفس الكريمة المعزوة بالشجاعة والشهامة. تلك النفس التي أُعجبت منذ زهاء سنة بفضيلتها السامية القائمة على اقوى الدعائم فانحنت الى المحتضرة منعطفة وأصغت اليها . . . فاخذت اغنس تودع في اذن الرئيسة كلاماً سرّيًا ويظهر ان ذلك الكلام كان ذا تاثير في نفس الرئيسة حتى انّها رفعت جملة مرّاتٍ منديلها الى عينيها ومسحت الدموع المنهملة كالغيث المدرار وفي آخر الامر التفتت الرئيسة الى المحتضرة وقالت لها ما يأتي من الكلام:

«كوني باطمئنان وسلام ايتها الاخت العزيزة فانني سأتمم متقضى ارادتكِ بمنتهى التدقيق. ايتها الفتاة عنوان الشجاعة والشهامة ليتني اتمكّن من ان افديكِ بحيوتي. . .»

فعند ما حقّقت الرئيسة للراهبة اغنس انها تقوم بما اسرّتهُ اليها ابتسمت اشارةً الى الشكر والاحساس بالجميل ثم القت رأسها الى المخدّة التماس الراحة. فرآها الحضور تحرّك شفتيها وترفع عينيها الى السماء بحميّة ففهموا انّ صلوةً حارّة كانت تصعد الى العلاء من تلك النفس الكريمة مغرس البرارة والطهارة

وعند ذلك أُتيَ بناء على امر الرئيسة بمنضدة (طاولة) فجعلت على مقربة من سرير المحتضرة وكان على تلك المنضدة جملة اشياء موضوعة بدون انتظام وهي اسفاط وسجتان وكتاب الاقتداء بالمسيح وكتاب قوانين الرهبانية ومكاتيب وبعض رسوم شمسية (صور فوتغرافية) قليلة العدد وصليب صغير وسوار من ذهب

فشرعت الراهبة اغنس تتأمل هذه الاشياء بابتسام . وكان بعض التصورات القديمة تتمثَّل لدى عينيها التي كاد ظلام الموت يحجب ضياءها

اجل ان تلك الاشياء كانت كانها ألسنة ناطقة تخبرها بحوادث حياتها الماضية وتنبه في ذهنها التذكرات المتعلقة بتلك الحوادث . . بل كانَّ كلَّ قطعة منها لدى تقليبها اياها بين اصابعها العجيفة التي استطرقت اليها برودة الموت تقول لها : أتذكرين هذا الامر . . . وكيف لا تتذكَّر جميع هـذه الامور وهي من اجل ذلك تتبسَّم بلطافة لدى تفكرها بالحوادث الماضية ولدى تذكرها بموتهـا القريب . . . لا ريب ان صورة الوطن كانت في تلك الساعة تتراءى لها ولا إشكال إن رسم العائلة كان تتمثَّل لدى نظرها . . . وهي لذلك قد تأثرت في تلك الساعة فاندفع شيء من دم قلبها النبيل فصعد الى خدَّيها وصبغهما بحمرة عقبت اثر الاصفرار ثم انهملت من عينيهـا دمعتان كالدرتين فوق تينك الوجنتين البهيتين . وبعد ان تأملت تلك الاشياء العزيزة لديها شكرت للرئيسة شكرًا اخيرًا شكر الوداع قائلةً لها بصوتٍ منخفض :

اسألكِ ان تصلي من اجلي قليلًا

اجابت الرئيسة : بل كثيرًا جدًّا

فقالت الراهبة المحتضرة :

أجل أجل صلي من اجلي كثيرًا والآن اني مشعرة بان كلَّ شيء قد انقضى . . لقد انقضى كل شيء . . . انني اشكرك يا ربُّ شكرًا جمًّا . . . ثم التفت الى الرئيسة قائلةً : امَّاهُ هل تأملتِ مرَّةً ما تلك الجملة التي قالها بولس الرسول وهي « انني تائق الى الموت » . . . فانا . . . انا هائمة الآن بالموت . . . ولكن ربما كان اثمًا عليَّ ان اتمنَّى الوفاة . . . قالت ثم القت رأسها الى الوسادة . ثم اخذت تتكلَّم برهةً بصوتٍ عالٍ قائلةً :

لقد احتملتُ من اجلهِ الآلام . . . وانا اقدِّم حياتي من اجلهِ . . . فاقبـل يا الهي ضحيتي . . . السماح . . . السماح يا ابوي المحبوبين . . . السماح يا شقيقتي الحبيبـة . . اه

انتِ هنا . . انتِ على مقربةٍ مني . . . وانتم هنا ايضاً يا ملائكة القراع السريين . . . . ارحمني يا الهي . . . ارحمني

ولما كانت اصابعها تنقبض بحركة عصبية على غطاء الفراش اقتربت الرئيسة منها واخذت يدها بلطفٍ وعندئذٍ فتحت الراهبة عينيها ولم تعد تتلفظ ببنت شفة . بل شخص بصرها الى العلاء وكانت كانها تسمع اصواتاً حلوة تقول لها

تعالي أيتها الاخت الحبيبة . . . تعالي . . . فان المسيح يستدعيكِ الى سمائهِ ان آلامك قد انتهت واوجاعكِ قد انقضت . وانَّ اجنحتها ترف حواليكِ وتنبسط لتحملكِ الى اقصى مكان . . . الى اعلى السماوات

وعندئذٍ نهض جسد الراهبة المحتضرة باتزعاج كأنهُ يريد ان يتبع اشخاصاً غير منظورين

ثم تنهدت تنهداً خفيفاً هيهات ان يدرك فخرجت من صدرها نسمة لطيفة هيهات ان يُشعر بها

وفي تلك الدقيقة انقطعت آلامها وانتهت اوجاعها بالموت . . . (ستاتي البقية)

شذرات

— الشقيقتان —

سرّح طرفك يا ايها القارئ الاديب في هاتين الصورتين ودقّق النظر فيهما ملياً

— ها قد فعلتُ

— فماذا ترى ؟

— ارى صورتين متشابهتين من حيث الشكل مختلفتين من حيث الكِبَر

— بخٍ بخٍ وانت ايضاً في ضلال عظيم كسائر الذين رموا بالنظر اليهما

— كيف تقول هذا فان الاعمى نفسه يحسّ ان الصورة الثانية اكبر من الاولى ؟

— كلاَّ ثمَّ كلاَّ واكرّر لك القول انك في ضلال مبين

— ولكن . . . . .

— ان كنت لا تثق بقولي فقِس الصورتين

— سمعاً وطاعة . . . . . يا للعجب العُجاب . . . . . فانهما متساويتان . . . . .

— أفقتَ الآن ؟

— نعم

— أفتيقتَ انك كنتَ في ضلال ؟ ..

— نعم . . . . نعم . . . . ولكن كيف يتكن مثل هذا الاغترار المدهش وقد رزقنا الله قوى سليمة لادراك المحسوسات

— هذا يا صاح تمّا يُدعى عند الطبيعيين غرور العين (illusion d'optique) ومن امثالهِ ما لا يحصى عددهُ ولا يُوقَى بعلمهِ في اكثر الاحيان . فالله اعلم باسرار الطبيعة . والسلام

عساكر المسكونة برًّا وبحرًا

قد ورد في مجلّة (Scientific American) جدول لبيان قوّات الدول العسكرية في اوربة هذا تفصيلهُ :

اسماء البلدان	عدد الجنود في زمن الحرب	في زمن السلم
دنمرك	٥٦٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠
سربية	٢١٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠
هولندة	—	٣٢,٠٠٠
برتغال	—	٣٦,٠٠٠
رومانية	١٦٠,٠٠٠	٤٢,٠٠٠
بلجكة	١٦٧,٠٠٠	٥٣,٠٠٠
اسوج	٤٣٠,٠٠٠	٥٧,٠٠٠
اسبانية	١٦٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠
سويسرة	—	١٢٥,٠٠٠
تركية	٧٠٠,٠٠٠	١٨٠,٠٠٠
انكلترة	٦٦٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠
ايطالية	٣,٠٠٠,٠٠٠	٢٤٠,٠٠٠
النمسة	٢,٠٠٠,٠٠٠	٣٦٠,٠٠٠
فرنسة	٤,٣٨٠,٠٠٠	٥٧٠,٠٠٠
المانية	٤,٥٠٠,٠٠٠	٥٨٠,٠٠٠
روسية	٥,٠٠٠,٠٠٠	٨٩٦,٠٠٠

وهذه العساكر الاوربية تستخدم ٥٥٠,٠٠٠ من الخيل وقت الصلح

اما بلاد اسية فجملة العساكر الموجودة فيها هي ٨٠٠,٠٠٠ نفر منها ٢٧٠,٠٠٠ للصين و ٢٠٠,٠٠٠ للهند و ١٠٠,٠٠٠ لليابان و ٢٥,٠٠٠ لفارس

وعدد الجنود الاميريكيين لا يجاوز وقت السلم جملة ١٦٠,٠٠٠ وجل واعظم عساكر هذه الاقطار عسكر المكسيك (٤٠,٠٠٠) والولايات المتحدة (٣٠,٠٠٠)

وجملة الجنود الموجودين تحت الاسلحة في العالم كله يبلغ (زمن الصلح) ٤,٦٠٠,٠٠٠ نفر وعدد الخيول العسكرية على وجه المسكونة نحو ٧٠٠,٠٠٠

وقد حسبوا النفقات اللازمة لمعاش تلك القوات كلها فوجدوا ان مبلغها يفوق ٢٥ مليارًا في السنة . فتأمل

– وسيلة جديدة لمعالجة الهُدَام –

اخبر الدكتور رَوْلِنس الانكليزي انهُ اخترع طريقة حسنة لمنع الهُدَام (mal de mer) وقد اثبت الاختبار الصادق حقيقة الامر . فلمَّا كان ذلك الداء العرضي يصيب خلقًا كثيرًا من المسافرين ويذيقهم مرّ الوجع في بعض الاوقات احببنا ان نورد لقرّائنا الكرام هذا الدواء الجديد فنقول :

ان معالجة الهدام على غاية السهولة فلا تقتضي شرب دواء من الادوية ولا ابتلاع حبٍّ من الحبوب . وجُلّ ما يُطلب من المصاب ان يرفع ذراعيهِ ورجليهِ معًا على قدر الامكان فيبقى على هذه الحال الى ان يشعر بانحطاط مَقيئهِ . ثم ان يعاود ذلك مرّات متوالية الى زوال كل تحرُّك الى القيء . ومما يزيد هذه المعالجة نفعًا وضع مغلاة او قطعة من الفلانلة السخنة على الصدر . فاختبر وأخبر

لغز رياضيّ

مرّ رجل شريف ببعض الفقراء فطلب منهُ المسكين صدقةً فتقدّم الى ابنهِ ان يعطيهُ ستة فرنكات فرضي الولد بشرط ان يضاعف لهُ ابوهُ الدراهم التي في كيسهِ . ثم تقدّما قليلًا واذا بفقير آخر يستعطي فامر الاب ابنهُ ثانية ان يعطيهُ ستة فرنكات أُخرى فلم يرضَ الولد الّا بعد ان ضاعف لهُ ابوهُ ما فضل في كيسهِ من الدراهم . وكذلك فعل بفقير ثالث امدّهُ الولد بستة فرنكات بعد مضاعفة الدراهم الباقية في كيسهِ . فرجع الولد

الى البيت وكيسهُ صفرٌ من الدراهم. فيُطلب ماذا كان يوجد في كيسهِ من الدراهم لما صادف الفقيرَ الاوَّل

حلّ هذا اللغز في العدد القادم

كتب شرقية جديدة

STUDIA THEOLOGICA AUCTORE H. GOUSSEN

Fasciculus I, Lipsiæ, pp. 70

Apocalypsis S. Johannis Apostoli, Versio Sahidica

نسخة جديدة من رؤيا مار يوحنا باللغة القبطية

لا يخفى انَّ الاسفار المقدَّسة نُقلت في اوائل النصرانية من اللغة اليونانية عن الترجمة السبعينيَّة الى عدَّة لغات. ولمَّا كانت البلاد المصريَّة سبقت غيرها الى التنصُّر لا شكَّ ايضاً انَّ الاقباط اسرعوا الى نقل الكتاب الكريم الى لغتهم. بيد انَّ اللسان القبطيَّ على ثلاث لَهجات اللهجة المنفية او البحيريَّة كانت شائعة في مصر السُّفلى واللهجة الصعيدية او الثيبية انتشرت في مصر العليا اي الصعيد واللهجة البشموريَّة كان يتكلَّم بها بعض العامَّة في واحات مصر. وقد تُرجم الكتاب المقدَّس الى هذه اللهجات او اللغات الثلاث. واشهرها الترجمة المنفيَّة ثمَّ الصعيديَّة يرتقي عهدها الى اوائل القرن الثالث او اواخر الثاني للمسيح يُستدلُّ على ذلك من شواهد عديدة. وهاتان الترجمتان مستقلَّتان لم يُطبع منهما الَّا شيء قليل وما نُشر بالطبع أُخذ اكثرهُ عن نسخ لا يتجاوز عهدها القرن العاشر. وقد ساعد الحظّ بعض اصحاب الآثار أن يجد منهما قطعاً مهمَّة منذ عشر سنين حصلت عليها دولة المانية ودولة انكلترة. فبادر الدكتور هـ. غوسّن احد معلمي كلية ستراسبورغ الى استنساخ كتاب رؤيا يوحنا باللغة الصعيديَّة لنشرهِ بالطبع الحجريّ وضبطهُ على نسختين كُتبتا على رقّ الغزال. فلا مراء انَّ الشرقيين لا سيَّما الاقباط يتلقَّون هذا الخبر بمزيد المسرَّة ويشكرون على همَّة الدكتور المذكور. وقد ذيَّل هذا الكتاب ببعض مقاطيع صغيرة في السريانية وجدت في كتب قديمة وهي مأخوذة عن كتاب الدياطسّارون وسنعود الى ذكرها ان شاء الله

MARTYRIUS-SAHDONA'S LEBEN U. WERKE,

von Dr H. Goussen, Leipzig, 1897, SS. XX-34.

ترجمة سُهدون واعمالهُ

كان سهدون هذا من مشاهير كتبة السريان درس العلوم في مدرسة نصيبين

في اواخر القرن السادس ثم ترهّب في بعض اديرة النساطرة ولم يلبث ان اشتهر بفضله فاقامهُ اهل شيعتهِ اسقفاً لمدينة باجرمي في نواحي الموصل واكرمهُ سيرويه ملك العجم فارسلهُ مع يشوعياب الجاثليق سفيرًا الى هرقل الملك فالتقى مدّة سفرهِ بعدّة اساقفة كاثوليكيين باحثوهُ في امر شيعتهِ واجتذبوهُ الى الرأي المستقيم. ولسهدون هذا تآليف دينية وخطب وجد منها الدكتور غوسن المذكور آنفاً قسمًا فنشرهُ بالطبع وترجمهُ الى الالمانية وعلّق عليهِ حواشي وصدّر الكتاب بتعريف سهدون المذكور واثبات رجوعهِ الى الكثلكة وكان بعض العلماء المستشرقين كرّيت وبُدج أنكروا ذلك على السمعاني (راجع المكتبة الشرقية الجزء الثالث ص ٤٥٣) وزعموا انهُ تشيّع للبدعة اليعقوبية ولم يَدِن بالكثلكة فبيَّن الدكتور غوسن ان اكتشاف نسختهِ الجديدة لم تترك للامر ريبًا ل. ش

BIBLIOGRAPHIE DES OUVRAGES ARABES OU RELATIFS AUX ARABES

publiés en Europe de 1810 à 1885

par V. Chauvin, 3e partie, Liège, 1898, pp. 152

قائمة الكتب العربية او المتوطة بالعرب التي نُشرت بالطبع في اوربة من سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥

قد وصفنا في العدد الثاني من مجلّتنا (ص ٩٣) القسم الثاني من هذا الكتاب المفيد. فما لبث مؤلفهُ جازاهُ الله ان يتحفنا بالقسم الثالث وهو جزآن يشتمل الاوّل على امثال لقمان وما دخل في حلّها والثاني على قصّة عنترة وما شاكلها. وقد صدّر في الجزء الاوّل ابحاثهُ (ص ١—٢٥) بذكر كلّ المطبوعات التي نُشرت بخصوص امثال لقمان الحكيم وترجمها الى لغات شتّى. ثم فصّل (ص ٢٦—٣٨) اسماء المصادر التي أُخذ عنها كلُّ مَثَل من امثال لقمان السابق ذكرها. وهو شغل دقيق يبيّن اصل هذه الامثال وما طرأ عليها من التقلّبات وكيف انتهى بها الكتبة فنقلوها الى اللغات المختلفة وهذا الباب جليل المنفعة لا غنًى عنهُ لمن اراد البحث في تاريخ امثال لقمان الشهير

ثم انتقل المؤلف العلاّمة الى ذكر الامثال الواردة في قصّة حيقار الحكيم (٣٨—٤٢) التي سمى حضرة الاب صالحاني بطبعها طبعةً مضبوطة. ثمّ ذكر ما عُرّب من امثال ايزوب اليوناني (٤٢—٨٣). ثم عقّب ذلك ببيان اسماء الكتب التي مدارها على قصّة

بَرْلعام ويوشافط مع ما جاء فيها من الامثال الحكميَّة (٨٣—١١٢). وفي هذا الفصل عدَّة افادات عن هذا الكتاب الذي طالما نسبهُ الكتبَة الى القديس يوحنَّا الدمشقي وهو في الحقيقة اقدم منهُ عهدًا واصلهُ من الهند

امَّا الجزء الثاني (١١٣—١٤٠) فمضمونهُ اوَّلًا حكاية عنترة بن شدَّاد وتعداد طبعاتها المختلفة. ثم يليها ذكر الحكايات الجانسة لها الشائعة عند العرب كقصَّة ابي مُسلم وابي زيد والنجيب الغريب وفيروز شاه وسيف التيجان وسيف بن ذي يزن والزير وبني هلال الخ. وختم ذلك بقائمة الكتب التي ورد فيها ذكر مسألتين خطيرتين (ص ١٤٠—١٤٣) تضاربت فيهما الآراء اعني اصل جماعات الغرسان وما لكتب العرب من الحظّ والتأثير في الحكايات التي شاعت في اوربة في القرون المتوسطة

فمن تعداد هذه الفصول يتسنَّى لقرائنا ان يفهموا عظم شأن هذا القسم الثالث وما اقتضى جمعهُ من الشغل الشاغل. فتكرّر شكرنا للعلاَّمة شوقين الذي يسهّل لنا بواسطة تأليفهِ الاطّلاع على كلّ ما نُشر بالطبع في سائر انحاء اوربَّة من كلّ فنون العرب ويقرّب لغيرهِ من العلماء الوسائل لنشر تاريخ واسع للآداب العربية ه. ل

أسئلة واجوبة

س سألنا حضرة الاب انستاس الكرملي من بغداد: ١ً ان نفيدهُ عن اسماء السُفُن المتَّخذة في العراق المذكورة في المسعودي ٢ً ان نذكر لهُ ما يوجد من الصحَّة في ما كتبهُ العرب عن سدّ الاسكندر ذي القرنين في بلاد جوج وماجوج

١ سفن العراق القديمة

ج نجيب على الاول ان المسعودي ذكر هذه السفن في اثناء اخبارهِ عن الخليفة المتَّقي لله بكتابهِ الموسوم بمروج الذهب (٨: ٣٤٥). قال: «واشتدَّ امر البريديين بالبصرة ومنعوا السُفن ان تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم جيش في الماء في الشذوات والطيَّارات والسميريَّات والزبازب. وهذه انواع من المراكب يقاتَل فيها صغارٌ وكبار». وفي الطبعة المصريَّة (٢: ٣٧٦): قد رُوي «السماريات والدبارب». وورد في نسخ اخرى خطيَّة: «السمارايات والدبارب». ولعلَّ الصواب هي الرواية الاولى فانَّ السميريات قد

ذُكرت في تاريخ الكامل لابن الاثير. امَّا الزبازب فجاء شرحُها في القاموس التركي بانَّها سفن مستطيلة متَّسعة الجوانب

٢ سد جوج وماجوج

نجيب على الثاني انَّ كتبة العرب متَّفقون باجمعهم على ذكر هذا السدّ وذلك انَّهم يزعمون انَّ الاسكندر لمَّا وصل في غزواته الى بلاد جوج وماجوج من الاقليم الخامس اتاهُ قوم من ضعاليك تلك البلاد المتاخمة لهؤلاء الشعوب الهَمجة فرقَّ لهم وابتنى لهم سدًّا ضخمًا لم يمكنهم تعديهِ. وقد بحث قومٌ من العلماء عن صحَّة هذه الرواية فتضاربت الآراء في اقوالهم فمنهم من قال انَّ هذا السدّ من بعض بنايات الاسكندر المجهولة. ومنهم من ارتأى انَّ موقعهُ في جبال القوقاز. ومنهم من قال انَّ هذا السدّ هو الحائط المقام في بلاد الصين ولعلَّ هذا الرأي هو الارجح (راجع ايضًا تاريخ الدول لابن العبري ص ٩٧ ومقدّمة المعلّم ريتو على جغرافية ابي الفداء ٣١٤ وللدكتور دي كُويه (de Goeje) مقالة طويلة في ذلك ليست هي في يدنا)

س كتب لنا من المها الخواجا واصف قركار ما صورتهُ: ١ً حدَّثني احد اصدقائي انَّهُ حاول تغيير لون الورد الطبيعيّ الاحمر بلون آخر بنفسجيّ وذلك انهُ وضع وقت زرع الورد الاحمر في الارض قطعة تَفتَه بنفسجيّ. فان صدقت هذه الرواية نرجوكم ان تفيدونا كيف يكون ذلك ٢ً ألَا يمكن تقدير كم سنة للدنيا من الخليقة الى الآن على وجه التقريب

تغيير لون الورد

ج نجيب على الاوَّل انَّ الطريقة الموصوفة آنفًا ليس فيها شيء من الصحَّة فان التفتة لا تؤثّر في شجرة الورد. وقد يمكن تغيير الوان بعض الزهور اذا سُقيت بموادّ كبريتية كسلفات الحديد مثلًا الَّا انَّ هذا لا يصلح في الورد

عمر العالم

نجيب على الثاني ان قياس عمر العالم منذ الخليقة الى اليوم لا يمكن ضبطهُ وقد حاول بعض العلماء ان يستنتجوا عمر العالم من تركيب طبقات الارض فبلغ حسابهم الى الوف بل الى الوف الوف من السنين وليس في هذه الاقاويل ما يتسنَّى تحقيقهُ ل. ش

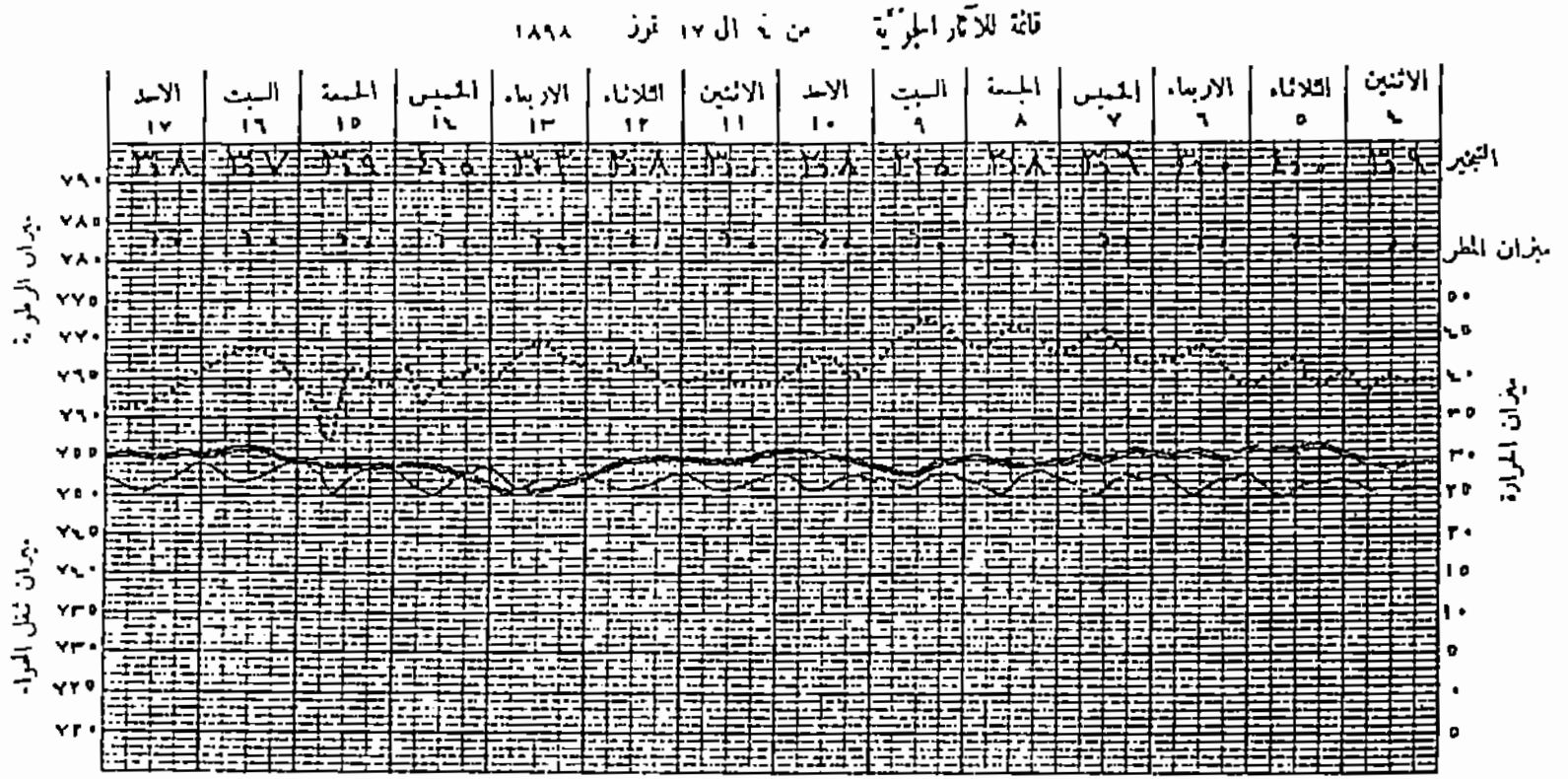

انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالباروميتر – والخط الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هيغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالمئمترات وعُشر المئمترات